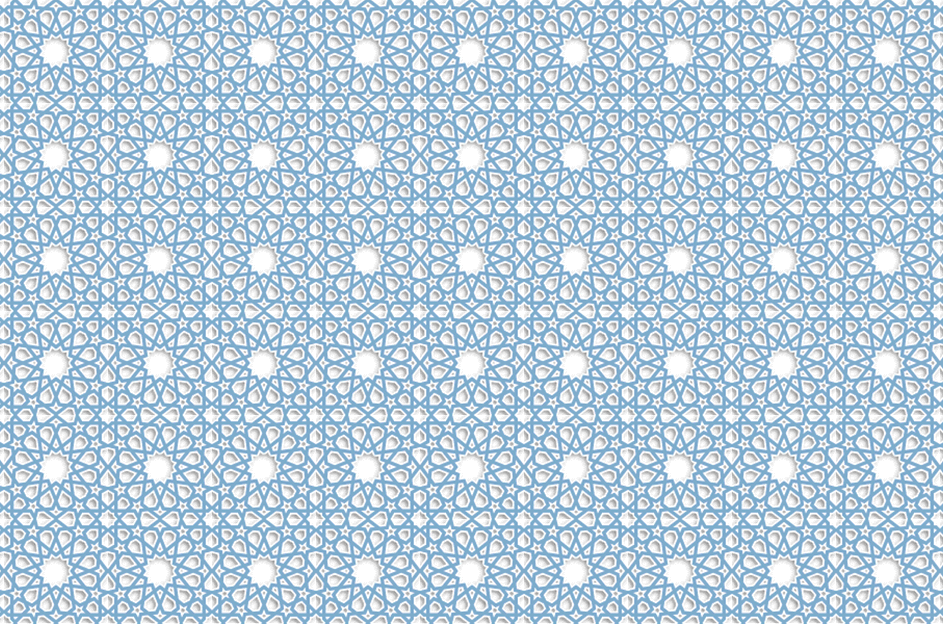
**كلية القلعة الجامعي**

**قسم مفارنة الأديان**

**المرحلة اارابعة**

**2023**

محاضرات في علم:



الفلسفة الإسلامية

**مدرس المادة**

د. عمر علي محمد

الفلسفة الاسلامية

(مدخل فى الفلسفة و دراسة مقارنة بين فلسفة التربية الإسلامية وغيرها)

بسم الله الرحمن الرحيم

أولا: تعريف الفلسفة:

الفلسفة لغة:

كانت الفلسفة تطلق قديماً على كلِّ العلوم، وكان يطلق على كل العلوم كلمة الحكمة. والفلسفة كلمة يونانية، تعود إلى الكلمة ( philosophia اليونانية وتتألف من مقطعين:.(philo ) ويعني الحب. و(sophia ). ويعني: الحكمة أو المعرفة، أي محبة الحكمة. أو حب الحكمة.

إذ ان لفظ الفلسفة معرب من كلمة يونانية ( فيلوسوفيا ) المكونة من كلمتين هما: ( فيلو) التي تعني (المحب) ، و(سوفيا)، التي تعني: ( (الحكمة). أي: إن كلمة فيلسوف بمعنى (محب الحكمة)، أو (حب الحكمة).

وينسب بعض المؤرخين هذا الاصطلاح إلى (فيثاغورس)، الذي أطلق على نفسه لقب فيلسوف، وأرجعه البعض إلى (سقراط) الذي وصف نفسه بالفيلسوف؛ رغبة منه في تميز نفسه عن (السوفسطائيين) الذين يدّعون الحكمة، ويرى آخرون أن مصطلح فلسفة يعود إلى (أفلاطون)؛ حيث استخدمها في وصف (سولون) و( سقراط) .

الفلسفة اصطلاحا :

يختلف تعريف الفلسفة اصطلاحا عند الفلاسفة؛ إذ يعرفها :

* (الفارابي) بأنها: " العلم بالموجودات بما هي موجودة " .
* أما عند (الكندي) فإن الفلسفة هي: علم الأشياء بحقائقها الكلية؛ حيث يؤكد أن الكلية هي إحدى خصائص الفلسفة الجوهرة التي تميزها عن غيرها من العلوم الإنسانية،
* ويری (ابن رشد) أن التفكير في الموجودات يكون على اعتبار أنها مصنوعات، وكما كانت المعرفة بالمصنوعات أتم كانت المعرفة بالصانع أتم .
* أما (إيمانويل كانت) فيری أن الفلسفة هي المعرفة الصادرة من العقل.
* وقيل: هي عبارة عن "العلم الباحث عن الأحوال العامة للموجود.

ثانيا: تاريخ الفلسفة ونشأتها ؟

الفلسفة يرجع ظهورها إلى ما قبل الميلاد، لكنها كانت غير ممنهجة ولا مقننة، ثم مرت في مراحل جعلتها أكثر نضجا وازدهارأ، وقد عَرفت المجتمعات السابقة كلها الفلسفة، وتعاملت معها وبها، إلا أنها كانت ظاهرة في بعض المجتمعات أكثر من غيرها، وتقوم فکرة الفلسفة على (النظر إلى الإنسان والكون ).

وهناك حاجتان أساسيتان للفلسفة، (فكرية وعملية). فهناك أسئلة كثيرة تخطر في ذهن الإنسان؛ كالسؤال عن أصل الوجود ؟، وعن بداية العالم ونهايته؟، وعن سعادة الإنسان وشقائه؟. والعلم الذي يقدِّم الإجابات على مثل هذه الأسئلة وغيرها هو (الفلسفة). وكثيرا ما نجد الإنسان يخطئ في حياته ومعتقداته، فيعتقد بأمور لا أساس لها من الصحة، وهي تؤثر على أخلاقه وسلوكه. والفلسفة هي التي تمثل الميزان والمعيار للأشياء الحقيقية الموجودة، ومن خلالها يمكن أن نُميِّز الموجود الحقيقي عن غيره من الأوهام والخرافات.

وعلم الفلسفة مما يضمن التفكر للإنسان، فلا بد له أن يعتمد على أسلوب محكم ، وأساس ثابت فى استدلالاته.

وليس للفلسفة موضوعا خاصا أو محددا، ، فالفلسفة تبحث عن الموجود بشكل عام لا من ناحية خاصة، بل تبحث عن صفات الوجود عامة. وبالتالي، فإن موضوعها هو الموجود بشكل مطلق؛ أي: أنها تبحث عن الموجود مهما كان، ولكن بأسلوبه الخاص لا سيما البرهان العقلي.

**ملاحظة / : لماذا ضل معظم الفلاسفة:**

ج/ لحصر الاعتماد على العقول وقع الفلاسفة فيما وقعوا فيه من الانحرافات. لاعتماد الفلاسفة على عقولهم وحدها، فلذلك تزحلقوا في طرف البواطل، كما قال (المولوي) السيد عبد الرحيم التاوكوزي في كتابه (الفضيلة) :

إذ انهم في أغلب المسائل تزحلقوا في طرف البواطل

لذلك ينبغي الاعتماد أولا على (النقل)، ثم على (العقل والحواس)، ومن ثم قال علماء المسلمين: ومنهم الإمام النسفي في (العقيدة النسفية):" حقائق الأشياء للخلق ثلاثة : الخبر الصادق والعقل والحواس السليمة".

* ثالثاً : تعريف الفلسفة
* للفلسفة تعاريف عديدة منها:

1. الفلسفة هي العلم الكلّي الذي يبحث في أصول وغايات الكون والطبيعة والإنسان، وغاية هذا العلم النهائية كشف الحقيقة. إذن فالحكمة هي:
2. ( فهم الطبيعة ونظام الكون. - اعتراف الإنسان بعدم معرفته. - معرفة الذات الإنسانية).
3. الفلسفة هي: جهد عقلي يستهدف الكشف عن معارف جديدة او النزوع إلى طلب المعرفة من أجل معرفة الحقيقة.
4. الفلسفة هي محاولة دقيقة منظمة للربط بين الكون والحياة البشرية على نحو له مغزاه.
5. الفلسفة محاولة إنسانية صالحة للاستكناه والاستكشاف والبحث والتجربة.

رابعاً/ مميزات الفلسفة وخصائصها:

- الفلسفة هي: البساطة، لكنها بساطة يتوصل إليها بعد مجهود شاق.

- الفلسفة هي: الشك في كلِّ شيء، والإيمِّان بكلِّ شيء.

- الفلسفة لا تعرف التوقف، وليس لها حدود. ووسيلتها في ذلك خلق المشاكل، عن طريق طرح الأسئلة.

- الفلسفة تحاول الوصول إلى الحقيقة، ولا تحاول تقديم الحلول لمشاكل، وإنّما في تفنيد الحلول الموضوعية.

- يذهب البعض إلى أنَّ الفلسفة لا محل لها من الإعراب، لأنَّها هو الإعراب نفسه، ولها مكان في كل مكان وزمان.

- الفلسفة هو التفكير في التفكير ذاته، يمكن تطبيقه على كلِّ علم.

خامساً: تاريخ الفلسفة الإسلامية:

كيف ظهرت الحياة الفلسفية؟ وما هي مراحل تطورها؟وما أهم مدارسها؟

يرى المعجبون بالفلسلفة أن الفكر الفلسفي الإسلامي بدأ منذ نزول الوحي على النبي الأكرم )صلى الله عليه وسلم،

ومما لا شك فيه أن القرآن الكريم قد تعرض في بعض آياته لبعض المسائل الفكرية والعقلية، ومنها قوله تعالى : (فقط آيتان للحفظ)

* ( وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا ‌رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ  [الرعد: 3-4]
* ( هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٣ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ  [النحل: 10-14]
* ( وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ‌ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ٦٨ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٦٩  [النحل: 68-69]
* ( وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ٢٠ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ٢٢ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٢٣ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ‌ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ [الروم: 20-24]
* ( إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا ‌بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ١٩٢ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ  [آل عمران: 190-194]
* ( وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا ‌بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ )

فالقرآن الكريم حثّ الإنسانية على التعقل والتأمل والتدبر. كما أننا نجد في الكلمات المأثورة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)أبحاثا عقلية دقيقة وعميقة، وهذا يعني رسوخ التفكير العلمي والأبحاث العقلية في المجتمع الإسلامي.

ومن الشواهد على هذا الجو العلمی السائد: الأبحاث الكلامية العقلية والاستدلالية، والنقاشات الفكرية حول الجبر والاختيار والمشيئة الإلهية، وما شابه ذلك من الأبحاث التي تعرض لها المسلمون في بدايات العهد الإسلامي.

وقد زاغ فرق عن الحقيقة في هذه المسائل، كما أن علماء أهل السنة من المتكلمين وصححّ لهم علماء المسلمين طريق الحق والرشد - لا سيما السادة الأشاعرة والماتريدية - حيث أسسوا قواعد العقائد وأصلوا أبوابها الثلاثة من( الالهيات والنبوات والسمعيات ) وسردوا لها بـ(الأدلة النقليةو العقلية) .

وبعد قرنين من بزوغ الإسلام ساد المجتمع جو خاص من الحياة العلمية والعقلية، عبر عنه بعضهم بالحياة الفلسفية، وبدأت بترجمة الآثار اليونانية والأسكندرانية إلى اللغة العربية، لكنها انحسرت في القرن الثالث الهجرى حيث بدأ المسلمون بالتأليف والتصنيف والتحقيق، وبعد دخول أمم متنوعة في الإسلام ، خضع كثير من المراكز العلمية للنفوذ الإسلامي، فتبادل العلماء: العلم والمعلومات مما ساعد على نمو الثقافة لاسيما الفلسفية منها.

ففي البداية ظهر مثل: الفارابي(ت/ هـ) و ابن سينا(ت/ هـ) ، اللذين بذلا جهدا جبارا في الفلسفة، وصاغوا نظاما فلسفيا يتضمن آراء أفلأطون (ت/ هـ) وأرسطو(ت/ هـ) و(الأفلاطونيين المحدثين)، ثم خضع هذا النظام الفلسفي للنقد على يد علماء آخرين مثل: الغزالي(ت/ 505هـ) و الفخر الرازي(ت/ 606هـ).

فحكماء المسلمين يعتقدون أن الوجود له أربع نشآت و أو أربعة عوالم كلية، وهي :

1. عالم الطبيعة: ويعبر عنه بـ(عالم الناسوت)، وهو عالم المادة والحركة والزمان والمكان؛ أي عالم الدنيا والمحسوسات.
2. عالم المثال: ويعبر عنه بـ(عالم الملكوت)، وهذا العالم أعلى من الطبيعة، وله صور وأبعاد، لكنه يفتقد الحركة والزمان والتغير.
3. عالم العقل: ويعبر عنه بـ(عالم الجبروت)، وهذا العالم هو عالم العقول، وعالم المعنى المتجرد عن الصور والأشباح.
4. عالم الألوهية: ويعبر عنه بـ(عالم اللاهوت).

سادسا/ : نشأة الفلسفة :

قيل في نشأة الفلسفة قولان، هما:

القول الأول: الفلسفة ذات منشا يونانی خالص؛ ولهذا سميت الفلسفة قديماً بمصطلح يرجع إلى منشئها اليوناني- على افتراض صته-؛ إذ سمَّاها أتباع هذا الافتراض بالمعجزة اليونانة، وقد تميز هذا المصطلح باستقلاليته عن الحكمة في المنشأ والنتيجة.

القول الثاني: يُرجع هذا القول نشأة الفلسفة إلى تقاعلات الشعوب واسهامتها جميعها، دوني انفراد شعب في تأسيسها و ابتكارها، حيث قامت الحضارة اليونانية القديمة على أصول المعارف التي نقلتها عن الحضارات الشرقية،

ثم نقل اليونانيون تلك المعارف بعد تطويرها إلى الحضارة الإسلامية التى طورتها وساهمت في نشرها، ويستدل أتباع هذا الرأي بعدة إشارات، منها: بدأت الفلسفة اليونانية بمدرسة (أيونيّة- مطلية) وهي عبارة عن جزيرة تعج بالموانيء، وتتميِّز بكثرة التفاعل والعلاقات مع الشرق ، منها :

* تأثر الفلاسفة اليونانيين بالشرق عبر زياراتهم الفعلية إلى الشرق ومنهم (طاليس) (ت/ هـ) و(أفلاطون) (ت/ هـ) . - تكرار الأصول الفلسفية في المدرسة اليونانية لأفكار كانت سائدة عن الشرق أصلا،
* استقلالية العلوم عن الفلسفة عرفت الفلسفة قديماً بأنها : (أم العلوم) ، نظرا لتدني مستوى المعرفة آنذاك، .

ومع ازدهار المعرفة واتساعها استحال على العقل الواحد الإلمام بها، وبهذا الكم الهائل من المعلومات ، فظهرت الحاجة إلى تخصيص العلوم ودراسة الوقائع المادية مما أدى إلى إبتكار منهج مناسب يقوم على الملاحظة والتجربة.

خامساً: أسباب استقلال الفلسفة عن باقي العلوم :

يرى الباحثون في مجال الفلسفة إلى أن ذلك يعود إلى الأسباب الأتية تراكم المعلومات وتعق البحث في تفرعات جزنة، جعل التخص في العلوم ه زيادة الأهتمام بدراسة الوقائع المادة، والجزينات، والعطيات، وهذا يناقض

تطلب المنهج التجريبي الذي يقوم على دراسة الجزينات للوصول إلى الكلية الاهتمام بالمعطيات، والوقائع المادة، والجزينات، وهذا في طبيعة الحال ينافي

المنهج الفلسفي الحاحة إلى الفلسفة بعد استقلال العلوم عن الفلسفة برزت مشكلات بحجم التقدم العلمي والنوض الحضاري، أعادت للفلسفة مكانتها وأظهرت الحاجة لها؛ وذلك الدورها في: تحفيز العقل، وجعله قادرا على التمحيص والبحث العلمي. 5۔ كشف الأوهام التي عيق العقل وتضل البحث العلمي

. حاجة العلم المستمرة إلى فحص فلسفي؛ لأن العلوم تعتمد على منهج ليس نتاجها، ومبادئ غير متعلقة بها، كما إن رأة الفيلسوف مهمة لموضوعية البحث العلمي.

- ترشيد العلوم لغايات اجتماعة تعود على المجتمع بالتفع، وربط العلم بالأخلاق؛ النحول نون صيرورة العلم ضد المجتمع

إخضاع الأكتشاقات العلمية اللقيم الإنسالية لأل غالية العلم التوصل إلى نتئج واكتشاقات، ولا بهنه إن كانت تعود على المجتمع بالتفع أو الضترر

سادساً: مجالات الفلسفة:

يمكن النظر إلى الأشياء حولنا من زاويين؛ إحداهما النظر إلى العنصر، وفحصه والإمساك به وإدراكه بحواسنا، والأخرى هي البحث في

اسباب الأشياء اللامرئية التي لا يُمكننا إدراكها بحواسنا وبيان هاتين الزاويتين

فلسفة الطبيعة تدور حول المرئيات والمظاهر التي تقع عليها حواشنا، والتي فيما ياتي يطرا عليها تغيير وفساد، وقد انشغل الفلاسفة فيما إذا كان هناك قانون ثابت للتغيير المستمر، وما هو العنصر الذي يبقى ثابتاً مقاوماً للتغيير، فذهب بعض فلاسفة اليونان إلى أن الماء والهواء والنار عناصر ثابتة لا تتغير، فيما ذهب آخرون إلى أنه لا توجد عناصر ثابتة

فلسفة ما وراء الطبيعة يُقصد بها كل ما لا يمكن إدراكه بحواسنا وما يقودنا

الفضول إلى معرفته أقسام الفلسفة تُقسم الفلسفة حسب اعتباراتها ومرجعياتها إلى

ثلاثة أقسام، وبيان ذلك فيما يأتي: فلسفة الأخلاق: هي مجموعة من الضوابط التي يكتسبها الإنسان من مجتمعه تحدد له ما ينبغي أن يكون عليه سلوكه تجاه الآخرين فلسفة الدين: هي التسليم الكامل، والاعتقاد التام بتعاليم الإله. فلسفة العلم: هي الفلسفة التي تبحث في حركة تحول الطبيعة، وتطور الإنسان.

سابعاً: خصائص الفلسفة

تتميز الفلسفة بعدة خصائص، أهمها:

-١ - التجريد: المُجرَّد هو الفكر ؛ حيث لا يرتبط بزمان، أو مكان، أو مادة.

٢- الكلية تُعنى الفلسفة بالعلاقات بين الأشياء، مثل علاقة الإنسان بالإله والآخرين، والطبيعة؛ لذا فإنّ أي موضوع جزئي يتناول نوعاً معيناً؛ هو علم "الفلسفة".

ثامنا: الفلسفة الإسلامية :

وهي تطوّر في الفلسفة يتميّز بالانتماء إلى التقاليد الإسلامية هناك مصطلحان في اللغة العربية يترجمان إلى اللاتينية "Philosophy" والتي تُشير إلى الشكل العقلاني من اللاهوت الإسلامي. وهما التي تشير إلى فلسفة المنطق و"علم الكلام"؛ وكذلك المنطق والرياضيات والفيزياء وغيرهم.

بدأت الفلسفة الإسلامية المبكّرة مع يعقوب بن اسحاق الكندي في القرن الثاني من التقويم الهجري، أي: أوائل القرن التاسع الميلادي، وانتهت مع ابن رشد في القرن السادس الهجري - أواخر القرن الثاني عشر الميلادي-، وتزامن ذلك على نطاق واسع مع الفترة المعروفة باسم العصر الذهبي للإسلام تميزت وفاة ابن رشد بنهاية تخصص معين من الفلسفة الإسلامية يدعى عادة بالمدرسة المشانية العربية بشكل فعلي، وانخفض النشاط الفلسفي بشكل كبير في الدول الإسلامية الغربية مثل الأندلس وشمال أفريقيا.

علماً بأن اتجاهات مبتكرة جديدة في هذا العصر الذهبي الإسلامي اثّر على التطورات الفكرية أثناء الفتوحات الإسلامية طورت الفلسفة الإسلامية المبكرة التقاليد الفلسفية اليونانية في الأوروبية التيارات الرئيسية للفكر الإسلامي في وقت مبكر هي الكلام الذي بركز على اللاهوت الإسلامي والفلسفة التي كانت قائمة على الأرسطية والأفلاطونية. كان عمل أرسطو مؤثرًا جدًا بين الفلاسفة الإسلاميين مثل الكندي القرن التاسع وابن سينا - 980) يونيو ۱۰۳۷ وابن رشد القرن الثاني عشر البعض الآخر مثل الغزالي انتقد بشدة أساليب الفصيلة الأرسطية طور المفكرون الإسلاميون أيضا منهجًا علميًا وطبا تجريبيا ونظرية البصريات وفلسفة قانونية .. كان ابن خلدون مفكرا مؤثرا في فلسفة التاريخ.

تاسعا: الإمام الغزالي ورده على الفلاسفة :

اعتبر البعض كتاب تهافت الفلاسفة الذي هو كتاب الإمام الغزالي ضربة لما وصفه البعض باستكبار الفلاسفة وادعائهم التوصل إلى الحقيقة في المسائل الغيبية بعقولهم، أعلن الغزالي في كتابه تهافت الفلاسفة فشل الفلسفة في إيجاد جواب لطبيعة الخالق وصرح أنه يجب أن تبقى مواضيع اهتمامات الفلسفة في المسائل القابلة للقياس والملاحظة مثل الطلب والرياضيات والفلك واعتبر الغزالي محاولة الفلاسفة في إدراك شيء غير قابل للإدراك بحواس الإنسان منافيا لمفهوم . الفلسفة أساسا.

لخص الإمام الغزالي في كتاب تهافت الفلاسفة إلى فكرة أنه من المستحيل تطبيق قوانين الجزء المرني من الإنسان لفهم طبيعة الجزء المعنوى وعليه فإن الوسيلة المثلى لفهم الجانب الروحى يجب أن تتم بوسائل غير فيزيائية

كان الغزالي أول الفلاسفة المسلمين الذين أقاموا صلحا بين المنطق والعلوم الإسلامية حين بين أن أساسيات المنطق اليوناني يمكن أن تكون محايدة ومفصولة عن التصورات الميتافيزيقية اليونانية توسع الغزالي في هذا الكتاب في شرح المنطق واستخدمه في علم أصول الفقه، لكنه شن هجوما عنيفا على الرؤى الفلسفية للفلاسفة المسلمين المشانين الذين تبنوا الفلسفة اليونانية اعتبر الغزالي محاولة الفلاسفة في إدراك شيء غير قابل للإدراك بحواس الإنسان منافيا لمفهوم الفلسفة من الأساس رد عليه لاحقا ابن رشد في كتابه تهافت التهافت.

وبقول الإمام الغزالي في بداية الكتاب ابتدأت لتحرير هذا الكتاب، ردا على الفلاسفة القدماء، مبينا تهافت عقيدتهم، وتناقض كلمتهم، فيما يتعلق بالإلهيات وكاشفا عن غوائل مذهبهم وعوراته التي هي على التحقيق مضاحك العقلاء وعبرة عند الأذكياء أعني ما اختصوا به عن الجماهير والدهماء من فنون العقائد والآراء.7

كما ويوضح في المقدمة الثالثة للكتاب أنه يتوجه به بشكل خاص إلى من أبهر بالفلاسفة حتى ظن ان افكارهم و استنباطاتهم نقية من التناقض فيظهر تناقض مسالكهم وأدلتهم على معتقداتهم ويهدمها وهو بذلك لا يدعى تصحيح السفاتهم أو بناء فلسفة بديلة فيقول أن لا أدخل في الاعتراض عليهم إلا دخول مطالب مذكره لا دخول مُدْعٍ مُثبت

وقد نظم حجة الإسلام الكتاب في عشرين مسئلة حيث يحاول الرد على ابن سينا والفارابي والتهم التي وجهها ضد الفلاسفة وهي موضحة كما يلي:

(فقط خمس نقاط للحفظ)

المسألة الأولى إبطال مذهبهم في أزلية العالم. المسألة الثانية: إبطال مذهبهم في أبدية العالم..

المسألة الثالثة: بيان تلبسهم في قولهم أن الله صانع العالم، وأن العالم صنعه

المسألة الرابعة في تعجيزهم عن إثبات الصانع.

المسألة الخامسة: في تعجيزهم عن إقامة الدليل على استحالة الهين. المسألة السادسة في نفي الصفات.

المسألة السابعة في قولهم إن ذات الأول لا ينقسم بالجنس والفصل.

المسألة الثامنة في قولهم إن الأول موجود بسيط بلا ماهية.

المسألة التاسعة في تعجيز عن بيان إثبات أن الأول ليس بجسم.

المسألة العاشرة: في تعجيزهم عن إقامة الدليل على أن للعالم صانعاً، وعلة.

المسألة الحادية عشرة: في تعجيزه :القول بأن الأول يعلم غيره

المسألة الثانية عشرة: في تعجيزهم عن القول: بأن الأول يعلم ذاته. المسألة الثالثة عشرة: في إبطال قولهم: أن الأول لا يعلم الجزئيات. المسألة الرابعة عشرة: في إبطال قولهم أن السماء حيوان متحرك بالإرادة. المسألة الخامسة عشرة: فيما ذكروه من العرض المحرك للسماء.

المسألة السادسة عشرة في قولهم: أن نفوس السماوات، تعلم جميع الجزئيات الحادثة في هذا العالم.

المسألة السابعة عشرة: في قولهم باستحالة حرق العادات.

المسألة الثامنة عشرة: في تعجيزهم عن إقامة البرهان العقلي، على أن النفس الإنساني جوهر روحاني.

المسألة التاسعة عشرة: في قولهم باستحالة الفناء على النفوس البشرية.

المسألة العشرون في إبطال إنكارهم البعث وحشر الأجساد، مع التلذذ والتألم بالجنة والنار، بالآلام واللذات الجسمانية.

مفردات في(فلسفة الإسلام التربوية)

(هاتان الصفحتان للمعلومات العامة)

العلاقات بين الإنسان والخالق والكون والحياة والآخرة في الفلسفة الإسلامية من حيث التربية:

أولا ـ العلاقة بين الخالق والإنسان .. علاقة عبودية

ا - معنى العبودية وأهميتها

۲ ـ مظاهر العبادة : المظهر الديني والاجتماعي والكوني

3 ـ كمال العبادة

4- اثر غياب مفهوم العبادة في التربية الحديثة ونقد العلماء المعاصرين

ثانياً ـ العلاقة بين الإنسان والكون ـ علاقة تسخير :

1-معنى التسخير و2- أهداف التسخير.

3-. ميادين التسخير

4 – علاقة التسخير وعلاقة الصراع مع الطبيعة في الفلسفات التربوية المعاصرة .

ثالثاُ: علاقة الإنسان بالإنسان ـ علاقة عدل وإحسان:

ا – علاقة العدل

2- علاقة الإحسان

3 – علاقة العدل والإحسان وعلاقة الصراع والبقاء للأقوى في الفلسفات التربوية المعاصرة

4 - العلاقات الإنسانية في نظم التربية في العالم الإسلامي المعاصر

رابعاً ـ علاقة الإنسان بالحياة – علاقة ابتلاء :

1-معنى الابتلاء وأشكاله :

2-قوانين الابتلاء

3- الابتلاء والاختلاف والدرجية

4-الدرجية والطبقية في الفلسفات التربوية المعاصرة

5-الابتلاء والفتنة

6-علاقة الابتلاء وعلاقة المتعة والاستهلاك في الفلسفات المعاصرة

خامساً ـ علاقة الإنسان بالآخرة ـ علاقة مسؤولية وجزاء:

1. معنى المسؤولية وأقسامها
2. علاقة المسؤولية في فلسفة التربية الإسلامية ونظرية الحقوق في فلسفات التربية الحديثة

الفصل الثالث : نظرية المعرفة في التربية الإسلامية

أولا ـ غاية المعرفة ومصدرها ودور الإنسان فيها

ثانياً ـ ميادين المعرفة :

1. ظاهرة الزوجية
2. ظاهرة السببية
3. ظاهرة الوحدة والتنوع
4. ظاهرة التطور
5. ظاهرة تكامل عالم الغيب وعالم الحس
6. ظاهرة القانون

ثالثاً: أدوات المعرفة: الوحي والعقل والحس

1. تكامل أدوات المعرفة
2. الكيفية التي يتعاون بها الوحي والعقل والحس
3. آثار الانشقاق بين أدوات المعرفة ونقد العلماء العربيين لمنهج المعرفة المعاصر
4. فريق المعرفة : الرسل والعلماء
5. أقسام فريق العلماء
6. التكامل بين فرقاء المعرفة

رابعاً ـ الحقيقة وأنواعها

خامساً ـ التكامل بين العلوم الدينية والعلوم الكونية وأثره في نشوء الحضارات وانهيارها

|||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||

المحاضرة الرابعة

ثانياً: العلاقة بين الخالق و الإنسان (علاقة عبودية )

**نموذج العلاقات بين الإنسان والخالق والكون والحياة والآخـرة في فلسفة التربية الإسلامية**

الهدف الذي تسعى إليه التربية ـ حسب فلسفة التربية الإسلامية ـ هو بلوغ المتعلم درجة الرقي الإنساني ـ أو درجة أحسن تقويم » حسب التعبير القراني - .

ويبلغ الإنسان درجة الرقي حين تتشكل علاقاته بالخالق والكون والإنسان والحياة والآخرة كما يلي

: ـ العلاقة بين الخالق وبين الإنسان هي ـ علاقة عبودية .

العلاقة بين الإنسان وبين الكون هي ـ علاقة تسخير

ـ العلاقة بين الإنسان وبين الإنسان هي ـ علاقة عدل وإحسان . ـ

العلاقة بين الإنسان وبين الحياة هي ـ علاقة ابتلاء . .

العلاقة بين الإنسان وبين الآخرة هي ـ علاقة مسؤولية وجزاء .

أولا : العلاقة بين الخالق والإنسان ـ

عـلاقـة عبـوديـة ـ

- معنى العبودية وأهميتها :

العلاقة التي تتطلع فلسفة التربية الإسلامية إلى بنائها بين الله وبين الإنسان المتعلم هي العبودية أو العبادة .

والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفكار والأعمال والمشاعر والعواطف في حياة الأفراد والجماعات ، وفي جميع الميادين الفكرية والاجتمـاعيـة والاقتصادية والسياسية والعسكرية وغير ذلك .

وأهمية هذه ـ العبادة ـ أنها :

العبودية هي العلة الرئيسية للخلق والإيجاد : -

- ( وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين »([[1]](#footnote-1)).

وبالعبودية طولبت جميع الأمم ،

- ( ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله ) ([[2]](#footnote-2))..

وبالعبودية جاءت جميع الرسل : ـ

« وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه ان لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ ([[3]](#footnote-3)).

* فقد جاء بها نوح عليه السلام : ـ ( ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدو الله »([[4]](#footnote-4)).
* وجاء بها ابراهيم عليه السلام : « وابراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه([[5]](#footnote-5))
* وجاء بها هود عليه السلام : «وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله) ([[6]](#footnote-6))
* وجاء بها صالح عليه السلام : ( وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدو الله) ([[7]](#footnote-7)).
* وجاء بها شعيب عليه السلام : ( وإلى مدين أخاهم شعيبـاً قال يا قوم اعبدوا([[8]](#footnote-8))
* وجاء بها موسى عليه السلام : « وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله »([[9]](#footnote-9)) .
* وجاء بها المسيح عليه السلام : ( وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدواالله ربي وربكم﴾ ([[10]](#footnote-10)).

وبها توجه محمد صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة :

- « يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم »([[11]](#footnote-11)) .

وبسببها شرعت الهجرة وترك الأوطان والديار :

- (ياعبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون ﴾([[12]](#footnote-12)).

ولو أننا استقصينا الأهمية الاجتماعية للعبادة لأدركنا السبب الذي جعلها تحتل هذه المكانة في تاريخ الرسالات،فالإنسان بحاجة إلى هدف سام يعيش من أجله ويتفاني في محبته وتتوجه إلى أشواقه ويتفاعل طلباً وطاعة ولذة . وعبادة الله هي:المثل الأعلى، الذي يوفر هذا الهدف للأفراد.

وعليها تجتمع كلمة الجماعات ويتألفون ويتاخـون، وحين يصل الإنسان هذا الهدف السامي فإنه ينكفيء إلى أهداف دنيا تتمثل في خدمة دوافع الشهوة بمظاهرها المختلفة .

وهناك فرق بين أن يكون الهدف من الحياة هو ـ عبادة الله ـ وبين أن يكون الهدف هو عبادة الغرائز والشهوات ...

فلقد أثبت تاريخ الإنسان على الأرض أن الإنسان يرتقي ويتسامى ويتقدم علمياً واجتماعياً حين يعبد الله . ولكنه حين يعبد شهواته يقع ضحية الفرقة والصراع والعزلة والوحدة والاغتراب وكلها تنتهي بتحطيم الإنسان أفراداً وجماعات !

ولقد كشف الله للباحثين في ـ آيات الأنفس ـ جوانب مؤثرة عن دور محبة « المثل الأعلى » في وجود الإنسان ورقيه وتقدمه واستمراره . وممن ناقش هذا الدور عالم النفس الشهير ايرك فروم Erich Fromm ـ في بحثه « المحبة »،ومما قاله في هذا المجال : -

: ( إن أعمق حاجة في كيان الإنسان هي حاجته للتغلب على انفصاله والخروج من سجن العزلة . وأن الفشل في تحقيق هذا الهدف يعني الجنون ، والسبب أن رعب العزلة التامة لا يمكن التغلب عليه إلا بالانسحاب الكامل من العالم مع عدم الإحساس بهذا الانسحاب ، وهذا لا يتحقق إلا إذا اختفى العالم نفسه ، ولذلك كانت المشكلة التي يواجهها الإنسان ـ في كل العصور والثقافات ـ هي كيفية التغلب على العزلة وتحقيق الاتحاد وتخطي الحياة الفردية . . . . .).

ويمضي ـ فروم – في استعراض الحلول التي يلجأ إليها الإنسان لمعالجة هذه العزلة وتحقيق الاتحاد فيذكر أن الإنسان يحققها في مرحلة الطفولة من خلال الاندماج مع والدته والالتصاق بها رضاعة وأمومة . ولكنه لا يلبث أن يتخطاها إلى العلاقات الجسدية التي تأخذ أشكالاً شرعية كالزواج أو أشكالاً متطرفة كالعربدة الجنسية ولكنها كلها علاقات جسدية مؤقتة ودورية من آن لآخر ، ولذلك يظل الجانب النفسي في الإنسان في وحدة وعزلة مما يدفعه إلى تخطي العلاقات الجسدية إلى الأعمال العقلية كالفنون والإنتاج الفكري المبدع . ولكنها علاقة غير كاملة كذلك لأنها تبقي الإنسان مع الوجود المادي حوله ويظل الجانب النفسي في حاجة إلى تبادل الحب مع طرف دائم العطاء والتفاعل . وهنا يتيه ـ فروم ـ فلا يهتدي لهذا الطرف الدائم العطاء الموجود خارج الوجود المادي ، ويعود ـ فروم - للدوران في حلقة بني الإنسان ، ومن الطبيعي أن بنيه ـ فروم ـ لأنه لم يجد الوحي الصحيح الذي يساعده على عملية المعرفة خارج الدائرة الإنسانية التي ينتهي العقل عند حدودها .

فالإنسان لا يمكن أبدأ أن تشبع حاجته إلى المحبة ضمن دائرة الوجود المادي خاصة حين يتعدى الشباب ويبدأ الكهولة ثم الشيخوخة حيث يبدأ التفكير في محطات رحلته بعد الموت، وهنا يحس بالمجهول والعزلة القادمة وما يحيط بها من أخطار فتشتد حاجته إلى أنيس يؤنسه وصاحب يسنده ، ومحب ينصره . ومن الطبيعي أن المحبوبات التي مرعنها في محطات الشباب ابتداء من الأم أو الزوجة المراحل ولا تستمر، هنا يأتي دور الإيمان وعبادة الله لتقرر أن الصاحب والأنيس في هذه المحطات هو الله وحده .

والإنسان بحاجة إلى « الحرية ، والانعتاق من ّذل الاسترقاق، وأسوأ أنواع الاسترقاق هي استرقاق الإنسان من قبل غرائزه وشهواته ، بل أن الرق الخارجي ـ أو الـرق الاجتماعي ـ لا يحدث في حياة الإنسان إلا إذا سهل طريقة الرق الداخلي ـ أو الرق النفسي ـ . وفي هذه الحالة يسجن الإنسان في أضيق سجون الوحدة ، وتدمر حاجته الأولى - حاجة المحبة-.

لذلك كان كفاح الإنسان وصراعه الاجتماعي من أجل حريته ابتداء من وجوده على الأرض ، واستعداده للتخلي عن الحياة مقابل هذه الحرية ، وكذلك كان كفاح قادة الفكر الإنساني وأهل المثل والقيم من أجل الحرية النفسية والتسامي بالنفس والعقل ،

وهذه الحرية ـ بمظهريها الخارجي الاجتماعي والداخلي النفسي ـ هي التي تضمن للإنسان استمرار التقدم واتقاء السقوط والتخلف . ولذلك وصفت العبادة بأن من ثمراتها التقوى » أو اتقاء أسباب السقوط . فالعبادة الله ترقى بالإنسان إلى ما يناسب إنسانيته من فضائل في الفكر والسلوك ، وتقيه مخاطر التخلف في الفكر والسلوك . والرقي حالة من الترفع العقلي والنفسي والاجتماعي ترفع بالإنسان إلى مستوى السلوك الحضاري . والقرآن يسمي هذا الرقي – في مواطن عديدة - - باسم ـ التقوى ، ويجعله نتيجة لازمة للعبادة ويتوجه بها لجميع البشر :

- ( يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون »([[13]](#footnote-13)) . ، وبذلك تكون حاجة الإنسان إلى عبادة الله ومحبته تقابل وقلبه ، والثانية لاستمرار حياة جسده .

**2- مظاهر العبادة :**

**المظهر الديني والاجتماعي والكوني :**

والعبادة ، في فلسفة التربية الإسلامية لها مظاهر ثلاثة :

مظهر ديني ، ومظهر اجتماعي ، ومظهر كوني .

أما (المظهر الديني » فموضوعه علاقة المسلم بالخالق .

وأما (المظهر الاجتماعي) ، فموضوعه علاقة الفرد المسلم بالأفراد والجماعات من حوله . وأما (المظهر الكوني) فموضوعه هو علاقة المسلم بالكون المحيط .

وتطبيق ( المظهر الديني ) للعبادة يتطلب من التربية تعريف المتعلمين بالخالق ورسله وكتبه وملائكته ، وتدريب هؤلاء المتعلمين على ممارسة الشعائر الدينية المحددة .

وأما تطبيق (المظهر الاجتماعي) للعبادة فهو يتطلب من التربية أن تعرف المتعلمين بأشكال التكافل الاجتماعي والفضائل الاجتماعية وأن تدربهم على ممارسات هذه كله ويتفرع عن هذا دراسة ما ينتاب الاجتماع البشري وتعاق الحضارات والعمران ، وتنوع الأحوال والأحداث في تصاحب ذلك كله ، واكتشاف قوانينها وعلاقاتها والنتائج أن تترتب عليها لأن ذلك كله يرشد إلى معرفة أفعال - الاجتماع البشري ومعرفة آثار القرب والبعد عنه.

وأما تطبيق « المظهر الكوني » للعبادة فهو يتطلب من التربية أن تعرف المتعلمين بالكون المحيط ومكوناته ، وأن توجههم إلى اكتشاف القوانين التي تنظم الكائنات الطبيعية واكتشاف خصائصها وتطبيقاتها وتدريب المتعلمين على أشكال التعامل معها والانتفاع بها حسب التوجيهات الإلهية ، لأن اتباع هذه التوجيهات هو كمال الانتفاع بالمكونات المذكورة ، ومن خلال هذا التعليم والتدريب بصل المتعلم إلى الغاية من المظهر الكوني للعبادة وهي معرفة دقة الصنعة الإلهية في المخلوقات وكثرة أصنافها وتنوع أحوالها ووفرة نعم الله الناتجة عن الانتفاع بها معرفة تفوق الحصر والإحاطة .

وانطلاقاً من هذا المفهوم للعبادة تتفرع علوم كثيرة لا حصر لها ، يمكن أن تنقسم إلى:

(علوم دينية) و(علوم اجتماعية) و (علوم كونية) . وكلها مما أمرت به أصول التربية الإسلامية لأن ثمرتها مجتمعة تخريج علماء بخشون الله ويحبونه ويدعون الخلق لمحبته .

وتؤكد فلسفة التربية الإسلامية على وجوب تكامل المظاهر الثلاثة للعبادة ووحدتها لأن الفصل بينها يؤدي إلى تعطيل فاعلية كل منها ويؤدي إلى خراب المجتمع الذي يمارس هذا الفصل أو يسمح به ولا يقف في طريقه لأسباب هي :

(السبب الأول ) ؛ أن حصر مفهوم العبادة في (المظهر الديني) يقود إلى الغفلة عن (المظهر الاجتماعي) وعن (المظهر الكوني)، فيتعطل البحث فيها وتنحسر العلوم الاجتماعية والكونية أو تنحرف عن غاياتها ومسارها الصحيح . وبذلك ينتهي أمر المجتمع إلى التفكك والإنهيار .

والسبب الثاني ؛ أن حصر مفهوم العبادة في « المظهر الديني » يؤدي إلى إخراج فريق من المتدينين يتصف بالتواكل والكسل والجبرية .

وهذا هو ما حدث في العصور الإسلامية المتأخرة حين تفتت مظاهر العبادة فتفتت مفهوم ـ المعرفة وحصرت مؤسسات التربية والتعليم مفهوم العبادة في المظهر الديني فشاعت المشيخة المحترفة والدروشة المحترفة ، وشاع الكسل والعجز والجبرية والسلبية إزاء الكوارث من داخل والتحديات من خارج .

والسبب الثالث ؛ أن حصر مفهوم العبادة في « المظهر الديني » يحرم المشتغلين في ميادين « الاجتماع » و « الكون ، من التوجيه والإرشاد فتشيع في حياتهم التمرد على القيم والأخلاق والتصارع على الدنيا، ويقتصر اهتمامهم عليها . وهذا ماضرب المجتمعات الإسلامية في العصور المتأخرة وأدى إلى الفتن وأسباب الانقسام .

وحين انتبهت المجتمعات الإسلامية الحديثة لأنان العنف لم تبدأ المراجعة والتقويم في ميدان التربية وإنما لجٲت إلى التقليد ـ تقليد عصور الجمود من القديم ، وتقليد عصور الانشقاق بين الدين والعلم من الجديد - فتعزز هذا الحصر والتطبيق الضيق لمفهوم العبادة ونشأت ثنائية في التعليم حيث تخصص مقلدوا القديم بالعلوم الدينية التي تحصر مفهوم العبادة في « المظهر الديني » ، وتخصص مقلدو الجديد بالعلوم الاجتماعية والكونية المنفصلة عن العلوم الدينية . ونتج عن ذلك كله ثنائية متنافرة في الأجيال الحديثة للمجتمعات الإسلامي وتدني مستوى الشخصية الإسلامية عما كانت عليه في مطلع الرسالة .

والسبب الرابع ؛ أن حصر مفهوم العبادة في « المظهر الديني » يعطل رسالة الدين في الإصلاح الاجتماعي ويكبله عن محاربة الشر، بل يحيله إلى عامل دعم للشرور اليومية الجارية ، وهذا هو السبب الذي جعل ـ المترفين ـ في كل جيل ينادون بفصل الدين عن الحياة ! وهو نفس السبب الذي جعل الجماهير المظلومة تنضوي تحت لواء المتنكرين للدين ولهذه الأسباب أيضاً توجه فلسفة التربية الإسلامية إلى وجوب تكامل المظاهر الثلاثة للعبادة في ميدان العمل والتطبيق ،

فالعبادة الحقيقية لا تتم بنصب الأجسام وتولية الوجوه إلى جهة القبلة التي قد تكون نحو الشرق أو الغرب لم الاكتفاء بأداء حركات العبادة الدينية وشعائرها، وإنما يجب أن تلتحم بالمظهر الاجتماعي والكوني للعبادة كذلك؛

وإلى التحام المظهر الديني والمظهر الاجتماعي يشير القرآن إلى ذلك في قوله تعالى:

( ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ) ([[14]](#footnote-14))

أما الإشارة إلى التحام المظهرالديني للعبادة بالمظهر الكوني فمثلها قوله تعالى:

ـ (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعوداوعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) ([[15]](#footnote-15))

- و « البِّر:ـ المشار إليه في الآية الأولى والذي جامع لجميع الخصال الحميدة ليس حركات وتوجيه وانما هو اعتقاد صحيح، وعبادة مخلصة ، وتكامل اقتصادي واجتماعي ، واجتماع قائم على الأخلاق الرفيعة ، وصبر على وإنما هو تكاليف الجهاد والعمل . كما يقوله الرازي ، التفسير الكبير : ج 5 ، ص27 .

والتوجيه الإلهي للرسول صلى الله عليه وسلم يقرن المظهر الديني ، للعبادة الذي أهم تطبيقاته الصلاة بـ المظهر الاجتماعي ، الذي أهم تطبيقاته بذل المال ، « فصل لربك وانحر » . والنحر آنذاك كان يتناول أثمن الممتلكات عند العربي ورأس ماله الأساسي . وفي الحديث القدسي : « إنا انزلنا المال لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة »[[16]](#footnote-16) وهذا ما فهمه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . من ذلك قول ابن مسعود : « ما دمت تذكر الله فأنت في صلاة وإن كنت في السوق »[[17]](#footnote-17) . وفي أركان الإسلام تقترن الصلاة بالزكاة اقترانا لا انفكاك له بحيث لا تكفي إحداهما عن الأخرى .

ويبدأ التنكر للدين عند تعطيل (المظهر الاجتماعي) للعبادة ، ويتم ذلك على خطوتين :

الأولى: قيام الفئات المترفة بتعطيل « المظهر الاجتماعي » للعبادة والإبقاء على (المظهرالديني) فقط ، وهم يفعلون ذلك لأن المظهر الاجتماعي العبادة يفرض عليها أشكالا من المسؤولية الاجتماعية والاقتصادية إزاء أصحاب الحاجات والطبقات الأخرى ولذلك كان محبو النعيم والتندد بالشهوات الدين يشير إليهم القرآن باسم - المترفين - طوال عصور التاريخ يعملون في الفصل بین المظهر الديني ، وبين والمظهر الاجتماعي » ؛ وإلى مثل ذلك كانت الإشارة إلي قوم شعيب : (وقالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن تفعل في أموالنا ما نشاء) ([[18]](#footnote-18)).

والذين يعطلون ( المظهر الاجتماعي ) للعبادة غالي اشكالا مخترعة من البدع ما يضيفون لـ المظهر الديني » والطقوس ومظهر الدين السلبي كالدروشة وتقديس الصالحين الأموات ، والاحتفالات الدينية ، وكثيراً ما يقلبون معاني المصطلحات الدينية نفسها كأن يحولوا معنى الزهد من گونه زهد الأغنياء بما في أيديهم ليجعلوه زهد الفقراء بما يحتاجونه من ضروريات حياتهم ،

ثم تأتي الخطوة الثانية من التنكر للدين كنتيجة لازمة للخطوة الأولى .

فحين يتعطل (المظهر الاجتماعي ) للعبادة فإن الذين يتوقف عن رسالته في العدل الاجتماعي والتكافل الاقتصادي ، ويتوقف عن رسالته في مكافحة الشر بل يستحيل إلى إحدى الوسائل التي تدعم الشر وتكرس آلام أصحاب المآسي ، وتحذرهم عن العمل للتخلص منها . وهنا تصبح الجماهير المحرومة مهيأة للتنكر للدين والثورة عليه ،

لذلك كله اعتبر الإسلام الفصل بين المظهر الدينية للعبادة وبين المظهر الاجتماعي ، تكذيباً بالدين نفسه : (أرأيت الذي يكذب بالدين ؟ فذلك الذي يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين ، فويل للمصلين ، الذين هم عن صلاتهم ساهون، الذين هم يرآءون ويمنعون الماعون ﴾([[19]](#footnote-19)) صحيح مسلم ۱۲

ـ والـ(دّع): هو القهر والتسلط ،و(اليتيم) ـ لا يقتصر معناه على الصغير الذي فقد أباه وإنما هو الصغير والكبير الذي فقد النصرة والإنصاف . قال ابن عباس في رسالة اجاب بها عن أسئلة وجهت إليه : « ... وكتبت تسألني متي ينقضي يتم اليتيم ؟ لعمري إن الرجل ننبت لحيته وإنه لضعيف الأخذ لنفسه ، ضعيف العطاء منها ، فإذا أخذ لنفسه من صالح ما يأخذ الناس فقد ذهب عنه البتم . . . . .

وعلق النووي على ذلك بقوله : « إن حكم اليتيم لا ينقضي بمجرد البلوغ ولا يعلو السن » ، وبذلك تكون جماهير الشعب المستضعفة أيتاماً فمن قهرهم وتسلط عليهم فهو مكذب بالدين . ولذلك تابعت السورة التنديد ب ـ المصلين ـ الذي يمارسون المظهر الديني » للعبادة ويسهون عن « المظهر الاجتماعي ، المشار إليه هنا باسم - الماعون ـ والذي فسره الإمام علي بأنه الزكاة المفروضة[[20]](#footnote-20) ، بينما فسره ابن عباس بأنه كل ما يعين الناس على شؤون حياتهم ويجعلهم يتفرغون من الهموم لأداء دينهم[[21]](#footnote-21)

ويلاحظ على السور القرآنية القصيرة التي اختصرت مشاهد الآخرة مثل : سورة الليل » و « البلد » و « الفجـرا و الماعون ، أنها تكرر فيها ورود صورتين متقابلتين : صورة أهل الجنة ، وصورة أهل النار ، وتتركز الصفات المفصلة لكل الفريقين حول موقفها من « المال » من حيث جمعه وإنفاقه کہا امر الله ، أو نهبه وبعثرته طبقاً للنزوات والشهوات .

وهذا يؤكد على أن « المظهر الاجتماعي » للعبادة هو محك الصِّدق في المظهر الديني » . فالأول هو الإيمان العملي ، والثاني هو الادعاء النظري !

والرسول صلى الله عليه وسلم كان يشترط على من يبايعه أن يجمع في إسلامه المظاهر الدينية والمظاهر الاجتماعية للعبادة ، عن السدوسي يعني ابن الخصاصية ، رضي الله عنه ، قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبايعه ، فاشترط علي شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن أقيم الصلاة ، وأن أؤدي الزكاة ، وأن أحج حجة الإسلام ، وأن أصوم شهر رمضان ، وأن أجاهد في سبيل الله ، فقلت يا رسول الله : أما اثنتان فوالله ما أطيقها : الجهاد والصدقة . فإنهم زعموا أن من ولى الدبر فقد باء بغضب من الله ، فأخاف إن حضرت تلك جشعت نفسي وكرهت الموت . والصدقة فوالله ما لي إلا غنيمة وعشر ذود هن رسل أهلي وحمولتهم . قال : فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ثم حرك يده ثم قال : فلا جهاد ولا صدقة ، فلم تدخل الجنة إذا ؟ قال : قلت يا رسول الله : أنا أبايعك ! قال : فبايعت عليهن كلهن » [[22]](#footnote-22)

وهذا الفهم الذي يجمع بين المظهر الديني والمظهر الاجتماعي للعبادة كان وراء الموقف الحازم الذي وقفه أبو بكر من حركة ـ الردة والمرتدين – بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن هذا الفهم كانت صيحته المشهورة أمام عمر بن الخطاب : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة .

**3 ـ كـمـال الـعبـادة :**

وتبلغ العبادة أكمل صورها من خلال الرسوخ بالمعرفة والعلم المفضي إلى العمل والتطبيق في مظاهر العبادة التي مر ذكرها .

ومن الإشارات التي تدل على كمال العبادة أن يتوفر في شخصية الإنسان العابد ثلاثة أمور : محبة كاملة الله من خلال العلم بنعمه ، ورجاء وتوكل كامل عليه من خلال العلم بقدرته . وخوف كامل منه وحده من خلال العلم بقوته وجبروته وسلطانه .

ومحصلة هذه الأمور الثلاثة هي ـ التقوى وخشية الله ـ

-ولذلك قال تعالى :. (إنما يخشى الله من عباده العلماء) ([[23]](#footnote-23)) .

وهذا ما فهمه الرازي في تفسيره حين قال : الأمر عبادة مشروط بحصول المعرفة ، كما أن الأمر بالزكاة مشروط بحصول النصاب .

**4 ـ أثر غياب مفهوم « العبادة » في التربية الحديثة ونقد المعاصرين**

لذلك : كان الفكر الكنسي يوجه التربية قبل النهضة الحديثة ويقدم مفهوماً للعبادة لا صفاء فيه لـ « المظهر الديني ، ولا وجود لـ المظهر الاجتماعي والمظهر الكونيه . وبسبب الاضطراب والنقص قام رد فعل معاكس واتخذت التربية طابعاً علمانياً لا أثر للعبادة فيه . هذا [[24]](#footnote-24)

لقد تجنبت التربية الإسلامية مرض المراهقة ومضاعفة حين أوجدت للشباب مثل أعلى أو رسالة يصرف طاقاته خلال الجهاد في سبيلها ، وحين وفرت للشباب فرص المشاركة ج إلى جنب مع الكبار من خلال المجالس العامة والمواجهات العامة التي كان يمارسها الكبار ، ومن خلال المشاركة في فرص العمل الجهادي والاجتماعي ، وليست ظـاهـرة التربية الإسلامية ظاهرة تاريخية بل ظاهرة مستمرة فكل فرد يجد الفرصة لتلبية حاجته النفسية في المثل الأعلى والعمل في سبيله لا يمر في مرحلة المراهقة السلبية ، وأحسن مثال لذلك هم الناشئة الذين يشاركون في المبادىء والنشاطات الايديولوجية التي تتبناها حركات الإصلاح المختلفة . ومن الموضوعية إن نقول أن مؤسسات التربية في العام الإسلامي لا تجسد ـ علاقة العبادة ـ بمظاهرها الثلاثة التي استعرضناها .

إن المشكلة التي تعاني منها هذه المؤسسات هي : التقليد والاغتراب ، وتتجلى مضاعفات هذه المشكلة في أمرين:

- الأول ؛ في مؤسسات التربية الحديثة ، وهذه تقلد المؤسسات التربوية في الغرب وتقوم بنفس المهمة ولكن بدرجة أسوا . فالفرد في هذه المؤسسات بعد ـ كما هو في العالم الثالث عامة ـ ليكون بالدرجة الأولى ومستهلكاه لكل ما يرد إلى الأسواق من المصانع الخارجية ، ولا يكون منتجاه إلا بالقدر الذي تتطلبه أعمال السكرتاريا والبيروقراطية التي تدير العمل في « الوكالات ، التي تتولى تسويق المنتجات الواردة ، وهي مؤسسات مغتربة عن قضايا المجتمعات الإسلامية الحاضرة . لذلك فإن مشكلة « المراهقة ، أخذت تبرز في هذه المجتمعات وبحدة قد تكون أسوأ في بعض الأحيان .

- والأمر الثاني ، في مؤسسات التربية الإسلامية وهذه عزلت عن واقع الحياة فهي تحدث الناشئة عن « المثل الأعلى » الذي رفعه « الآباء ، ولكن لا توفر لهم فرص المشاركة في خدمة المثل الأعلى ، وتكون النتيجة هي قول لا عمل تنفجر مضاعفاته في أشكال التطرف والتزمت أو التحلل والمروق .

ثانياً: العلاقة بين الإنسان والكون (علاقة التسخير):

1 ـ معنى التسخير :

العلاقة التي تتطلع فلسفة التربية الإسلامية إلى بنائها بين الإنسان والكون هي ـ علاقة تسخير ـ .

وهي مشتقة من علاقة الإنسان بالله ـ علاقة العبودية ـ لأنها تطبيق لـ « المظهر الكوني » للعبادة وسبب من أسباب تحقيق الشق الأول من معنى العبادة وهو : كمال المحبة المفضية إلى الطاعة الكاملة .

والتسخير ـ لغة ـ معناه : العمل والخدمة مجاناً.

أما اصطلاحاً فمعناه : أن الله مكن الإنسان من استخدام مظاهر الكون في تطبيقات عملية نافعة للإنسان في مجالات حياته المختلفة دون ثمن يقدمه لله. (الجوهري ، الصحاح : تاج اللغة وصحاح العربية)

ولكن الكون لا يخدم الإنسان مجانا إلا إذا فهم الإنسان كيف يوجه الأوامر إلى مظاهر الكون ومكوناته.

وتوجيه الأوامر هو : معرفة القوانين التي تسير هذه المكونات . فهذا الكون خلقه الله خادماً مطيعاً للإنسان،ولكن شرط الله على الكون أن لا يطيع الإنسان إلا إذا دعاه عن طريق معين ، فإذا دعاه عن غير هذا الطريق فلا يستجيب الكون ويظل معرضاً صامتاً أمام الإنسان . وبذلك يكون الذي لا يستفيد من مقدرات الكون حوله هو إنسان جاهل للنداء الذي يستجيب الكون من خلاله .

وهذا النداء هو كشف القوانين الكونية واستخدامها، وكان يستعصي القفل أن يفتح بغير مفتاحه ، كذلك الكون لا يستجيب بغير قوانينه . مثله في ذلك مثل السيارة التي لا تتحرك إلا مع من يعرف قوانين قيادتها . بل إن كل الآلات لا تتحرك للإنسان الذي يجهل قوانين تحريكها . وهكذا الزرع والشجر فإنه ازداد عطاؤه بمعرفة قوانين زرعه ، والحيوان يزداد عطاؤه بمعرفة قوانين تدجينه (جودت سعيد ، العمل: ٥٧) .

فالتسخير يزداد بازدياد العلم بقوانين الله في خلقه . فالعلم والتسخير والقانون هي أمور مرتبطة بعضها ببعض . فالقانون هو الأداة التي خلقها الله لإعطاء الأوامر للكون،

والعلم هو معرفة هذا القانون ، والتسخير هو نتيجة هذه وتبدأ معرفة القانون باستخدام السمع والبصر والعقل استعمالاً صحيحاً والذين لا يستخدمون أجهزة الوعي هذه لا يسخر لهم الكون ، ولذلك بحث القرآن على استخدام هذه الأجهزة الثلاثة للوصول إلى العلم بمفاتيح الكون : - ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾ ([[25]](#footnote-25)).

وكما يجب على كل فرد أن يستعمل هذه الأجهزة الثلاثة لنجاته في الآخرة فإنه يجب على البشرية ـ وعلى الدوام ـ أن تتدرب على حسن استخدام هذه الأجهزة لنجاحها في الحياة الدنيا، والتدريب على حسن هذا الاستخدام هو وظيفة التربية الصحيحة .

٢ ـ أهداف التسخير : الغاية من التسخير هي قدرة الله المطلقة وعلمه المطلق ورحمته المطلقة . أن يعلم الإنسان من خلاله فالكون مختبر يتحقق الإنسان فيه من « صحة ، ما أخبر به الوحي ويطمأن إلى « صدق » ما جاء به الرسول محمد صلی الله عليه وسلم ، ففي الكون يشهد الإنسان دقة خلق الكائنات وقوانين وجودها وتقلب أحوالها ، ويتحقق من خلال التربية الإلهية لعوالم الإنسان والحيوان والنبات والجماد .

وهذه علوم إذا شهدها الإنسان بعقله وحسه عرف ان الله رب العالمين ، وصدق ما تلقاه سمعه من وأدرك ضرورة انفراد الله بالحب والعبادة :

- (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن بتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما). ([[26]](#footnote-26))

- فالوحي والكون جزءان في سفر إلهي واحد : أحدهما يقدم آيات الله في القرآن » ، والجزء الثاني يقدم « آيات الله في الآفاق والأنفس » .

وهذا التكامل بين النوعين من الآيات هو معجزة الرسول الخالدة . وهو أمر أساسي في منهاج الدعوة ومنهاج التربية الإسلامية . فحين طلبت فريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم معجزة مادية وشواهد حسية لصدق ما جاء به تنزل الوحي بأن في مقدور أولي الألباب والأذكياء الموهوبين أن يدخلوا مختبر الكون ويشهدوا المعجزات والبراهين التي طلبوها .

روى الواحدي في ـ أسباب النزول ـ أن قريشاً ذهبوا إلى اليهود وسألوهم : ما جاءكم به موسى من الآيات ؟ قالوا: عصاه ويد بيضاء للناظرين، وأتوا النصارى فقالوا: كيف كان عيسى فيكم، فقالوا: يبريء الأكمه والأبرص ويحيي الموتي ، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً ، فأنزل الله تعالى :

« إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ). ([[27]](#footnote-27))

فالذي تتكشف عنه المعرفة العلمية والتكنولوجيا ـ وما سوف تتكشف عنه ـ هو معجزات الرسالة الإسلامية ، وإلى هذه المعجزات أشار قوله تعالى :

ـ (سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم هم أنه الحق ﴾ ([[28]](#footnote-28)).

ومن هنا نعرف أهمية العلم بالنسبة للمسلم، فإذا رسخ المسلم في فهم معنى العلم فإن هذا العلم سيشهد بصدق الإيمان بالله واليوم الآخر وضرورتها ، كما شهد العلم بصدق قوانين الجاذبية وأقنع الإنسان بمراعاة هذه القوانين وهو يقفز من السطح أو الطائرة ليتجنب كارثة التحطم .

ولقد ازداد التسخير ـ في آيات الآفاق في الكون - بازدياد العلم بقوانين هذا الكون ، وهو ما نسميه بتقدم التكنولوجيا .

أما التسخير في آيات الأنفس فما زال أقل وضوحاً وتقدما.

والذي تريده فلسفة التربية الإسلامية من الحض على النظر في ـ آيات الأنفس ـ هو اكتشاف قوانين النفس والرسوخ في فهم هذه القوانين بغية إقناع الإنسان على أن مخالفة قوانين الله في الأنفس كمخالفة قوانينه في الكون ، ومعرفة أن الذين لا يراعون قواعد الإيمان بالله واليوم الآخر فسوف يتحطمون ويتكسرون كا يتكسر الذين يقفزون من الطائرات ومن الأسطح دون مراعاة قوانين الجاذبية ، وإن المجتمع الذي لا يراعي الناس فيه مسؤولياتهم التي أمر الله بها في علاقات الناس بعضهم ببعض فسوف يتحطم بسبب خروجه على قوانين الأخلاق أو قوانين الله في البشر كما يتحطم الذي يخرج على قوانين الطبيعة في الجاذبية والاحتراق .

3 ـ ميادين التسخير : حددت ـ فلسفة التربية الإسلامية - ميادين التسخير التي يجب أن تتوجه إليها أجهزة الوعي في الإنسان ـ العقل والسمع والبصر . وقيمة هذا التحديد هو حفظ هذه الأجهزة من التوجه إلى ما لا يمكن البحث فيه ، ومن تبديد هذه الطاقات فيها لا طائل تحته من ـ الميتافيزيقا ـ التي لا برهان عليها ولا شواهد لها .

ولقد تحددت ميادين التسخير المذكورة في ميدانين البحث على ميدان الكون مؤجلين الإشارة إلى ميدان النفس إلى مكان آخر لعدم علاقته علاقة مباشرة بعلاقة الإنسان، وتتحدد جوانب التسخير في ميدان الكون في عناصر الكون الرئيسية الثلاثة : الفضاء المحسوس ، واليابسة الملموسة ، والماء الكائن في المحيطات والبحار وما يتفرع عنها .

ومن هذه الميادين الثلاثة تتفرع ميادين فرعية لاحصر لها: ـ (قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة ، وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال، الله الذي خلق السموات والأرض ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين، وسخر لكم الليل والنهار) ([[29]](#footnote-29)) .

- ( ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض ، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » ([[30]](#footnote-30)).

-(وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ ([[31]](#footnote-31)) .

والذي في السموات والأرض له تفاصيل عريضة منها ما يلي : - ميدان الأفلاك والكواكب :

فهذه الأفلاك مسخرة للإنسان وبقدرته اكتشاف قوانينها وخصائصها والاستفادة من ذلك في حياته العملية والعقلية .

-(وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ، يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون) ([[32]](#footnote-32)) .

ـ ( وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ) ([[33]](#footnote-33)).

ـ ( الم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ، وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير ) ([[34]](#footnote-34)).

-(وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير، إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا مثل خبير) ([[35]](#footnote-35)).

ـ ( وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل . ألا هو العزيز الغفار) ([[36]](#footnote-36)).

ويلحق بميدان الأفلاك والكواكب ـ الفضاء المحيط بها ـ وما فيه من الرياح والظواهر الطبيعية ، وما يجري فيه ـ أو يتوصل إلى اكتشافه ـ وسائل التنقل في الفضاء الكبير : ( فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص ، وآخرين مقرنين في الأصفاد). ([[37]](#footnote-37))

ميدان البحار والمحيطات :

فهذه وما فيها من الكائنات مسخرة للإنسان عليه أن يستفيد منها في حياته المادية ويسترشد بالحكمة الكائنة في خلقها وقوانينها في حياته العقلية والنفسية:

– (الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ ([[38]](#footnote-38)).

- (وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا وتستخرجوا ، من فضله ولعلكم تشكرون). ([[39]](#footnote-39))

- ميدان اليابسة :

والآيات التي تتحدث عن هذا الميدان تأتي مقرونة باليابسة لنفس الغايات والأهداف المادية والعقلية :

-( ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم » ([[40]](#footnote-40)).

ويشير(التسخير) في الآية السابقة إلى وحدة الميادين الرئيسية الثلاث والتوازن القائم بينها ، ومن مظاهر هذا التوازن أن الله يمسك ما في الفضاء من شمس وقمر وكواكب وما يمخر فيه من طيارات وصواريخ وحاملات قنابل ذرية أن تقع على الأرض ، ولكن هذا الإمساك ليس مطلقاً فقد تقدر الإرادة والإذن الإلهي سقوط بعض النيازك والنجـوم والطائرات والصواريخ ولا ندري مصير هذه الأسلحة النووية والأقمارالصناعية التي تحمل الدمار

ويقدم القرآن كذلك بعض التفاصيل التي توجد في كل من الميادين الثلاثة الرئيسية للتسخير ومن أمثلة ذلك:

-(الذي جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون ، والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتاً كذلك تخرجون ، والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون ، لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون ) ([[41]](#footnote-41)).

ـ (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخـرنـاهـا لكم لعلكم تشكرون﴾ . ([[42]](#footnote-42))

ـ « وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير » ([[43]](#footnote-43)).

ـ « إنا سخرنا الجبال معـه يسبحن بالعشي والإشراق، والطير محشورة كل له أواب »([[44]](#footnote-44)) .

وتحذر فلسفة التربية الإسلامية تحذيراً شديداً من الخروج على ـ علاقة التسخيرـ مع الكون والخروج بها عن أهدافها وغاياتها، لأن الخروج على هذه الغايات والأهداف يجعل علاقة التسخير تنقلب (على) الإنسان بعد ان كانت (له):

-فالريح المسخر(لـه) الإنسان والذي تدرج في الاستفادة تسخيره ابتداء من تنقية حبوب القمح في الغربال البدائي ، ومن طحن هذه الحبوب في الطاحون الهوائي ، هذا الريح ينقلب تسخيره وعلى ، الإنسان في البر والبحر ويتحول إلى عواصف تدمر البيوت والمنشآت وتغرق السفن ويسقط الطائرات .

- والماء المسخر الى الإنسان والذي تدرج في الاستفادة منه كذلك قد ينقلب تسخيره (على) الإنسان فتفيض الأنهار وتعصف البحار والمحيطات والأمطار فتكتسح ما في طريقها من المنشآت والكائنات .

والقرآن یورد الأمثلة لذلك منها :

ـ (وأما عاد فأهلكوا بريح صرص عاتية، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية، فهل ترى لهم من باقية ، وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة، فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية، إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية، لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية » ([[45]](#footnote-45)).

ونحن اليوم ـ نرى آثار الخروج على ـ علاقة التسخير في الحضارة المعـاصـرة في ميادين العلوم والتكنولوجيا الذرية والهيدروجنية وعلوم الفضاء، وهي تتحول على يد الإنسان الذي لا يهتدي بـ(علاقة التسخير) إلى أهوال وأخطار مسخرة(على) الإنسان تندر بتدمير حياته كاملة على الأرض بدل أن تكون « مسخرة له ، ترقى به إلى التسخير بالشكل الذي تطرحه فلسفة التربية الإسلامية أمده الله بالمؤهلات والقدرات التي تمكنه من إقامة هذه العلاقة المشار إليها .

وهذا الرسوخ في معرفة الله، والتنعم بنعمه، وليسهل على الإنسان ممارسة علاقة المؤهلات هي :

المؤهل الأولى : أن الله منح الإنسان القدرة على تسخير الكون ومنحه منزلة الخلافة على الأرض .

والمؤهل الثاني : أن الله أمد الإنسان بقابلية التعلم والقدرات التي تمكنه من كشف أسرار الكون وقوانينه وفهم مكوناته وعناصره وهذه القدرات هي ما أشار إليه القرآن حول تعليم آدم الأسماء كلها ، وأنه علم الإنسان ما لم يعلم ، وغير ذلك .

والمؤهل الثالث : هو تناسق تكوين الإنسان مع طبيعة هذه الخلافة . فالله سبحانه فطر ما في السموات والأرض كوحدة متناسقة تؤدي وظائفها طبقا للتصميم المذكور.

والإنسان وحده و الذي يملك حرية الانتظام أو الخروج عليه ، ولكنه حين ينتظم يسود وجوده الأمن والتقدم وتتناسق حياته مع القوانين التي توجه العوالم المحيطة به ، ويتوفر له اداء وظيفته في الاستخلاف وينال الجزاء الأوفى .

وحين يخرج على هذا الخروج ضنكاً في الدنيا وعذاباً في الآخرة . ولكن تحقيق ـ علاقة التسخير ـ يحتاج إلى جدية صادقة صائبة في البحث والتطبيق أما الحديث عنه بدون عناء وبدون إعطائه ما يستحق من الطاقات العقلية والنفسية والجسدية فهو مضيعة للوقت ( والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) ([[46]](#footnote-46))

ويتكرر الحديث في سورة الأنعام وغيرها عن أن القدرة على ممارسة علاقة التسخير والربط بين آيات الكتاب وآيات الكون هي التي تفرز اليقين الكامل ، فإذا لم تحدث هذه القدرة فلا فائدة من اكتشاف آيات الكون ولا فائدة من تلاوة آيات الكتاب .

ومن الحق أن نقول : إن مؤسسات التربية الإسلامية - منذ قرون ـ قد عطلت(علاقة التسخير)، وعطلت(المظهر الكوني) للعبادة ، وفقدت الإحساس بخطورة الذنب الذي الترفته حين عطلت هذه العلاقة وقعرت مفهوم الذنب على الجوانب الدينية والأخلاقية وبررت للمسلم جميع أشكال القصور والذنوب التي اقترفها في ميادين(المظهر الكونية للعبادة) .

وفي العصر الحديث لما تستطع المؤسسات التربوية في العالم الإسلامي الحديث أن تستوعب المفهوم القرآني لعلاقة التسخير لأن هذه المؤسسات ما زالت تقتصر على تلقين الدارسين مظهر الإعجاز اللغوي والأدبي الذي توصل إليه علم والأباء » ، وتنظر بحذر وريبة شديدين إلى أية دعوة للنظر في مظهر الإعجاز العلمي للقرآن الذي يشكل إعجاز العصر .

ولقد أدى عجز هذه المؤسسات عن القيام بواجبها المذكور إلى مضاعفتين اثنتين :

المضاعفة الأولى: أن هذه المؤسسات العصر لم تستطع ـ وما زالت لا تستطيع ـ أسلمة التربية والمعرفة الكونية التي بدأت نفد إلى العالم الإسلامي في مطلع الحديث . وتركت الباب مفتوحاً لنماذج المؤسسات التربوية الأوروبية لأن تقوم وتنتشر وتقدم العلوم الكونية عارية من - علاقة التسخير ـ موجهة بـ(علاقة قهر الطبيعة والسيطرة عليها).

وبذلك أخذت التربية في العالم الإسلامي : التربية الغربية نقائصها في هذا الميدان، وصار التعليم في هذا العالم يخرج (مستهلكين) ، يقلون عن الخريجين في الغرب بأنهم وغير منتجين » ، فأدى ذلك كله إلى امتداد مفاهيم الصراع-

والاستهلاك واللادينية وانقلبت التربية إلى عامل من عوامل الاضطراب بدل أن تكون من عوامل الخير والاستقرار . والمضاعفة الثانية: أن الاقتصارعلى العلوم الدينية في مؤسسات التربية الإسلامية والانشقاق بين العلوم الدينية والعلوم الكونية في المؤسسات التربوية الحديثة قد أدى إلى كلا النظامين من التربية في العالم الإسلامي ومنع ولادة الإيمان وإخراج أمة المؤمنين لأن الإيمان يهبه الله لمن تزاوجت في نفوسهم والحقائق الدينية مع(الحقائق الكونية)، وسنة الله أن يخلق من كل زوجين اثنين .

وبهذا التصور اندفع الجيلان الأولان من السلف في ميادين العلوم الكونية اندفاعهم في ميادين الجهاد وأعطوا هذه العلوم ما تستحق من المال والجهد والبحث والتنقيب عن العلوم أينها كان مصدرها . حتى إذا دخل عليهم الانحراف في استعمال أجهزة الوعي ـ السمع والبصر والعقل ـ على أيد أمثال المعتزلة وعلماء الكلام فرقوا بين هذه الأجهزة وزجوها فيها لا اختصاص لها ولا فائدة منها .

4 ـ علاقة التسخير وعلاقة الصراع مع الطبيعة في الفلسفات التربوية المعاصرة :

من أكبر الأخطار التي تمثلها ـ فلسفات التربية المعاصرة ـ أن هذه الفلسفات بتأثير الدارونية الاجتماعية، قد خرجت بعلاقة الٳنسان عن مفهوم(التسخير)وقلبتها إلى ـ الصراع والسيطرة على الطبيعة ـ حيث يصارع الإنسان الطبيعة للسيطرة عليها وانتزاع ثرواتها دون هدف ولاغاية إلا هدف الاستهلاك والاستمتاع الدنيوي، وتنطلق الصيحات المتكررة من عواقب هذا التصور الخاطيء، خاصة بعد تقدم(علم التبيؤ)( Ecology) ومن مثلة هذه النداءات التحذيرية الكتابات المتكررة لأمثال - رينه دوبوا ـ ومما قاله في هذا المجال :

ولن نستطيع تغيير العالم ما لم نقصي من عقلنا الجماعي المفهوم القائل : إن أهداف الإنسان هي قهر الطبيعة وإخضاع العقل الإنساني ، والوصول إلى تغيير هذا الاتجاه لن يكون أمراً سهلا لأن السعي للسيطرة على الطبيعة وقيام تنمية غير محدودة بثيران جواً يكاد يكون مسكراً ، بينها الإنجاء بالاقتراب من الاستقرار بخلق حالة من التبلد . ولهذا السبب فإننا لن نقدر على تغيير طرائقنا إلا إذا تبنينا أخلاقاً اجتماعية جديدة ، بل دينا اجتماعياً جديداً . ومهما كان شكل هذا الدين الجديد فإن أصوله يجب أن تكون على وفاق وتناسق بين الإنسان والـطـبيعـة بـدل الانـدفـاع المتهور للسيطرة والإخضاع » ( Rene Dubos . So Human An Animal , ( London :

ولعل من الموضوعية أن نقول:

إن العقل الغربي أبدع في اكتشاف قوانين الكون، وخصائص مكونات هذا الكون، وأبدع كذلك في تحويل هذه القوانين إلى تطبيقات علمية وتكنولوجية ، ولكنه أخطأ في تفسير علاقة التسخير - وضل كثيرا عن أهدافها وغاياتها بسبب " الفكرية التي رعتها كنيسة العصور الوسطى ودفعت بالعقل الغربي في ميادين آيات الآفاق والأنفس دون بصائر من آيات الكتاب . ومع تقديرنا واحترامنا للجد والمعاناة الشاقة والصبر على متطلبات البحث والدراسة التي اتصف بها العقل الغربي والتي انتهت بأمثال رينه دوبوا ، وأبراهام ماسلو إلى نقد مفهوم الصراع مع الطبيعة ، وإلى الاقتراب من التفسير الإسلامي ، وخرجت بأمثال موريس بوكاي ورجاء جارودي إلى نور الإسلام، فإننا نصارح العقل الغربي بأنه قد أن الأوان له لأن يتخلص من العقد النفسية التي قيدت عقول أسلافه في العصور الوسطى وجعلتهم ينظرون إلى الإسلام تلك النظرة السلبية التي جانبت الموضوعية . وإنه لمن الازدراء للفكر وأهله أن يبقى الفكر وأهله مستأجرين لأهواء أصحاب المال وأهواء الساسة وأن تتشكل مواقف المفكرين إيجاباً وسلباً طبقا للمصالح المتلونة المتقلبة .

صحيح أن الحياة الاجتماعية والمستوى الحضاري في الأقطار الإسلامية المعاصرة قد أسها في خلق الصورة المشوهة

للإسلام في نفس الغربي، هذا التخلف لأجيال المسلمين تثير الاشمئزاز وهي تلقي تبعة تخلفها على غيرها ـ ولا تغير ما بأنفسها ـ لتتخلص من الضرورة أن يكون تخلف المسلمين الحاضر ولكن ليس سببا في الاستنتاج والحكم بتخلف الثروات الفكرية والعقائدية عندهم ، وأنه لمن العار أن يقتصر اهتمام العقل الغربي على شهود الثروات المادية المخزونة في باطن الأرض العربية والإسلامية أو الكائنة فوقها ثم لا يبحث في الثروات الفكرية والعقائدية المخزونة في أسفارها خاصة وأن حاجة الغرب إلى هذه الثروات الفكرية والعقائدية أشد من حاجته إلى الثروات المادية .

إن العقل الغربي يظلم نفسه ومستقبل أجياله ، ويظلم القرآن ويظلم رسول الإسلام حين يجعل الإسلام ديناً قومياً مختصاً بالعرب ، أو ديناً آسيوياً أو أفريقياً يندرج في قائمة الأديان الشرقية، فالصفة العالمية واضحة تمام الوضوح في رسالة الإسلام وسيرة نبي الإسلام، والغرب يظلم نفسه أكثر، ويظلم الإسلام أكثر فأكثر حين يتصورأن العلاقة بينه وبين الإسلام علاقة عداء مستمرة.

ثالثاً : علاقة الإنسان بالإنسان ـ علاقة عدل وإحسان ـ

العلاقة التي تقيمها ـ فلسفة التربية الإسلامية ـ بين الإنسان والإنسان هي علاقة « العدل والإحسان..والعدل معناه: الإنصاف، أما الإحسان فمعناه: التفضل والزيادة في المعاملة الحسنة.

ولقد حددت الأصول العقدية للتربية الإسلامية الإطار العام لهذه العلاقة عند قوله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » ([[47]](#footnote-47))

وهذه العلاقة هي الترجمة العملية لـ « المظهر الاجتماعي » لعلاقة الإنسان بالله ـ أي علاقة العبودية ـ . وفيما يلي تفصيل لكل من علاقة العدل وعلاقة الإحسان.[[48]](#footnote-48)

علاقة العدل : العدل هر الحد الأدني للعلاقات بين بني الإنسان، والوقوف عند هذا الحد والتحذير من تجاوزه إلى ما هو أدنى رخصة مقبولة حين تثور الخصومات وتقع النفوس فريسة الانفعال والغضب والكراهية المؤدية إلى الجور والظلم والعدوان ، أو حين تتحرك مشاعر الهوى والشهوات وتصبح النفوس عرضة للميل والتحيز .

والعدل دوائر تتدرج في سعتها حسب سعة دوائر الانتماء البشري :

- وتبدأ الدائرة الأولى مع النفس : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم﴾ ([[49]](#footnote-49))..

- ثم تليها دائرة الأسرة : كعلاقة الأزواج بالزوجات ، والآباء بالأبناء : فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ﴾ ([[50]](#footnote-50)).

- ثم تليها دائرة القربي : ( وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربي ) ([[51]](#footnote-51)).

وفي مكان آخر تجمع الدوائر الثلاث في قوله تعالى: ( يا أيها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء الله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيراً فالله أولى بها فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا، وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا ) ([[52]](#footnote-52)).

- ثم تليها دائرة الأمة التي ينتمي إليها الفرد أو الجماعة العلاقة . وفي ذلك يقول تعالى : ( وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينها ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ ([[53]](#footnote-53)).

- واخيراً تليها كلها الدائرة الإنسانية : (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل، إن الله نعمّا يعظكم به إن الله كان سمعياً بصيراً ) ([[54]](#footnote-54)) .

فالعدل مطلوب خلال هذه الدوائر المذكورة في جميع الأحوال والظروف بل هو مطلوب مع الأعداء وفي أوقات الخصومات وسوء الصلات، وفي ذلك يقول تعالى :

( يا أيها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) ([[55]](#footnote-55)).

ولا يجوز أن يحول دون ـ علاقة العدل ـ حائل وإن بلغت السلبية في التعامل حد اليأس من الطرف المقابل وفي ذلك يقول تعالى :

( فلذلك فادع واستقم كما أمرت ، ولا تتبع أهواءهم، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لا حجة بيننا وبينكم ، الله يجمع بيننا وإليه المصير ) ([[56]](#footnote-56)).

وشيوع علاقة العدل ورسوخها في علاقات الإنسان بالإنسان دلالة النضج والكمال والاستقامة . وغيابها دلالة التخلف والنقص .

والمجتمع الذي يشيع فيه العدل هو مجتمع الواعين المنتجين للخير والمجتمع الذي يختفي منه العدل هو مجتمع ـ الأغبياء المعوقين ـ الذين يعيشون عالة أكلاء على غيرهم من الأمم : -

(وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينها يوجهه لا يأت بخير، هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقیم). ([[57]](#footnote-57))

وحين نتدبر واقع الإنسانية المعاصرة نجد بعض جوانب المثل الذي تورده الآية المذكورة أعلاه، إن المشكلة التي تعاني منها المجتمعات المعاصرة هي:

- أنها إما مجتمعات لا تأمر بالعدل ولا تسيرعلى صراط مستقيم ،

- وأما مجتمعات تأمر بالعدل ولكنها أيضاً لا تسيرعلى صراط المستقيم ،

فالمجتمعات القائمة في ما يسمى بدول العالم الثالث: مجتمعات لا تأمر بالعدل ولا تسير على الصراط المستقيم ، فهي تعيش معيشة الأبكم الذي لا ينطق بعلم ولا يكشف عن معرفة ، وهي لا تقدر على شيء وأيتها تتوجه في سياساتها لا تأتي بخير ، وهي كلة تعتمد على الدول المتقدمة ابتداء من الآلة التي تركبها أو تستعملها حتى الرغيف الذي تأكله .

وأما المجتمعات القائمة في ما يسمى بدول العالم المتقدم فهي: مجتمعات تأمر بالعدل داخل حدودها وتمارسه إلى حد كبير ، ولكنها أيضاً لا تسير على صراط المستقيم في شؤون العقيدة وجانب من شؤون الأخلاق، ولذلك فهي تجني ثمار تفوقها في ميدان العدل والإدارة في القدرة على أشياء كثيرة وإنجاز الكثير كذلك ، ولكنها تعاني من نتائج انحرافها عن الصراط المستقيم في الجوانب التي أشرنا إليها .

والسبب في ذلك أن مجتمعات العالم الثالث تعيش علاقات قائمة على الظلم وتسلط الدكتاتورية وغياب العدل في علاقاتها وجفافه من نظمها التربوية وملء هذه النظم وشحن مناهجها وتطبيقاتها بالعصبيات العائلية والقبلية والاقليمية !

بينما تحرص مجتمعات العالم المتقدم على تلقين ناشئتها في مؤسسات التربية مفاهيم الديموقراطية وتطبيقاتها وتعويدهم رعايتها والحرص عليها وإشاعة العدل في علاقاتهم في ميدان الحياة الاجتماعية.

ولكن غياب ـ علاقة العدل ـ من علاقات المجتمعات المتقدمة بغيرها من المجتمعات الأخرى جعلها تعاني من آثار هذا الغياب خارج حدودها الإقليمية .

ولذلك يظل نموذج المجتمع المتحضر الراقي الذي يجسد علاقة العدل في علاقاته الداخلية والخارجية مطلباً من مطالب التربية الإسلامية ، وسمة من سمات الصفوة التي يريدها الله من عباده : ( وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾([[58]](#footnote-58)) .

وعلاقة العدل عامل رئيسي في شيوع الأمن والسلام لأنها تعبير عن الموضوعية في معالجة الأمور وعدم التحير والذاتية .

وحين تسود علاقة العدل: لا يبقى أثر العلاقات العصبية العائلية ، والعصبية القبلية ، والعصبية القومية ، والعصبية العرقية ، والعصبية الوطنية ،

ولذلك كان انتشارالاضطراب والجريمة في علاقات الأفراد والدول في عالمنا المعاصر سببه رعاية التربية لهذه العصبيات وتجسيدها في فلسفات التربية ومناهجها وعلومها الاجتماعية وادابها وفنونها وثقافاتها ، بل إن فشل المنظمات التربوية الإقليمية والدولية التي ترفع شعار « التربية من أجل السلام » سببه ان هذه المنظمات لم تتحرك ـ أو هي لم تتمكن بسبب الحكومات - لتنظيف نظم التربية ومناهجها وتطبيقاتها من آثار العصبيات المذكورة ، والتي يصفها رسول الإسلام بأنها حصب جهنم ، وكان يهتف بأصحابه : دعوها فإنها نتنة !! فلسفة التربية إن بقاء هذه العصبيات في عالمنا المعاصر دليل على أن الإنسان لم يصل بعد إلى الحد الأدنى من العلاقات المقبولة بين الإنسان والإنسان .

٢ – علاقة الإحسان :

أما علاقة الإحسان الإسلامية - العلاقة الطبيعية التي يجب أن تربط الإنسان بالإنسان ، وهي التي يجب أن تسود في الظروف العادية حين لا يكون هناك إحن ولا خلاف . ويجب على التربية أن تعمل على تنميتها وإشاعتها في حياة الأفراد والجماعات وأن تبصرهم بميادينها وتفاصيلها وثمراتها . وأساس هذه العلاقة أن الإنسان خلق ـ في أحسن تقويم ـ أي أسمى درجات التصور والسلوك في علاقاته مع الآخرين .

ولكن اختلال التوازن الذي تحدثه مناهج التربية الخاطئة ومؤسساتها في قوى العقل والغضب والشهـوة والانحراف بهذه القوى عن أهدافها التي خلقت لها يهبط بالإنسان إلى درجة ـ أسفل سافلين ـ في علاقاته مع الآخرين ، وهي درجة تهبط عن مستوى العلاقات السافلة التي تسود عالم الحيوان .

لذلك كانت وظيفة ـ التربية الإسلامية ـ هي العودة بالإنسان إلى أصل نشأته من خلال تربيته على الإيمان والعمل الصالح وبذلك تعود الصحة والتوازن إلى القوى المختلة ، ويتدرب الإنسان على استعمال هذه القوى استعمالاً صحيحاً وعلى صيانتها صيانة صحيحة وإلى هذه التحولات في طبيعة الإنسان كانت الإشارة القرآنية : « لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجرغير ممنون﴾ ([[59]](#footnote-59)).

فالعودة بالإنسان إلى منزلة ـ(أحسن تقويم) ـ إنما تتم من خلال تربيته على ـ علاقة الإحسان ـ التي تتكرر الدعوة إليها في مئات المواقع من القرآن الكريم خاصة قوله تعالى : (خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين ) ([[60]](#footnote-60)).

-(ادفع بالتي هي أحسن السيئة ، نحن أعلم بما يصفون) ([[61]](#footnote-61)).

-(ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كـأنه ولي حميم) ([[62]](#footnote-62))

ولقد علق ابن كثير على هذه الآيات الثلاث بقوله : ( فهذه ثلاث آيات ليس لهن رابعة في معناها، وهوان الله تعالى يأمر بمصانعة العدو الإنسي ، والإحسان إليه ليرده عنه طبعه الطيب، الأصل إلى الموالاة والمصافاة). [[63]](#footnote-63)

. وتتدرج ـ علاقة الإحسان ـ أيضاً حسب دوائر الانتهاء البشري فتبدأ بالدائرة الأولى ـ دائرة النفس ، ثم تليها دائرة الأسرة من الوالدين والزوجة والأبناء ثم الأقارب ثم الدائرة القومية ثم الدائرة الإنسانية . ـ (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم﴾([[64]](#footnote-64)) .

-(وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبـالـوالـدين إحساناً »([[65]](#footnote-65)) .

-( ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحساناً »([[66]](#footnote-66)) .

-( وإذ أخذنا ميثاق بني إسرئيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا ) ([[67]](#footnote-67)).

ويفصل القرآن الكريم الميادين التي يجب أن تتجلى خلالها علاقة الإحسان تفصيلات يصعب حصرها .

فالإحسان ـ مثله مثل العدل ـ مطلوب في جميع الأحوال والأوقات وفي الرضي والخصومات : ـ

-« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر ، والعبد بالعبد ، والأنثى بالأنثى . فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان »([[68]](#footnote-68)) .

- والإحسان مطلوب في مواجهة الملمات : - واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين » ([[69]](#footnote-69)).

- والإحسان مطلوب في الحرب والجهاد : والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين »([[70]](#footnote-70)) .

-والإحسان مطلوب في القول والكلام :( وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن﴾

-والإحسان مطلوب حين يفلت رباط الأسرة ويحدث: (الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان »([[71]](#footnote-71)) .

-والإحسان مطلوب في الخصومات : (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » ([[72]](#footnote-72)).

-والإحسان مطلوب في مجادلة المخالفين في العقيدة : ( ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ) ([[73]](#footnote-73)).

-والإحسان مطلوب في معاملة الأيتام : ـ « ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، حتى يبلغ أشده » ([[74]](#footnote-74)).

- والإحسان مطلوب في جميع أشكال التعامل والعلاقات على مستوى الأفراد والجماعات وهو المقياس الذي يقاس حسن التصرف بالثروات والنعم : ( إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا). ([[75]](#footnote-75)).

وخلال التأكيد على ـ علاقة الإحسان بين الإنسان والإنسان ـ تقدم المصادر الإسلامية نماذج كثيرة جدا، الثمرات هذه العلاقات واثار هيمنتها وانتشارها بين الناس وجزاء المحسنين . فتذكر أن من ثمراتها محبة الله والتمكين في الأرض والحكمة والعلم والسلام والأمن والمغفرة وغير ذلك .

ولا بد للتربية ان ترسخ هذه العلاقة في أصولها وأن تشيعها في أهدافها ومناهجها وتطبيقاتها وأن تلون بها جميع العلوم والفنون ، ولا بد أن تمكنها من توجيه القيم والعادات وأنماط السلوك اليومي في ميادين العلاقات والأنشطة الاجتماعية والاقتصادية والتجارية والإدارية والسياسية وفي تطبيقات العلوم والاختراعات والكشوف حتى تصبح هذه كلها نعمة للبشرية وأماناً وتقدماً حقيقياً لا سبباً في الشقاء والكوارث والخوف والطبقية والاستغلال .

وغياب ـ علاقة العدل والإحسان ـ من واقع الحياة معناه: في نظرة فلسفة التربية الإسلامية شيوع علاقة أخرى دميمة هي علاقة الظلم ..

وتلفت الأصول الإسلامية الانتباه إلى خطورة هذه العلاقة وتحث على اتخاذ الوسائل اللازمة للتنفير منها والتعريف بآثارها الضارة .

فالإسلام تذكر أن الظلم نوعان :

ظلم للنفس: مثل : الكفر والشرك والمعصية والبطر والترف والخنوع والذل .

وظلم للآخرين: مثل اغتصاب حقوقهم والتعدي على ممتلكاتهم والتعامل بالربا والاعتداء على الأنفس والأموال .

ولكن أعظم مظاهر الظلم هي الإعراض عن رسالات الله والتكذيب باياته..

وتفصل الأحاديث النبوية في علاقة الظلم تفصيلا دقيقاً وتجعل آثاره الدنيوية أعظم من الكفر في تدمير المجتمعات والدول ، وإن الدول التي يشيع فيها الظلم إلى جانب الإسلام تتداعى قبل الدول التي يشيع فيها العدل إلى جانب الكفر وكذلك تضيف الأحاديث النبوية أن النار مثوى الظلمة وأعوانهم من الإداريين والشرطة والجند وغيرهم ، وإن ... دعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السماء ويقول الرب عز وجل : (وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين) (مسند أحمد ؛ ( تصنيف الساعاتي ) ، ج ۱۹ ، ص ۲۳۷ ۰).

وأخطر آثار الظلم أنه يتسبب في مرض « انتفاخ الشخصية وتقلصها ، الذي تتعاظم مضاعفاته العقلية والنفسية والاجتماعية .

أما مضاعفاته العقلية فهو يفرز أفكار (التطرف)، وأفكار (الجمود) . وليست عقائد التطرف اليساري والماركسي إلا رد فعل للظلم المبرح الذي زخر بها تاريخ المجتمعات التي شهدت ولادة هذه العقائد ، وليست مفاهيم التطرف الخارجي والشيعي وعقائد التكفير والهجرة إلا بعض إفرازات علاقات الظلم التي شهدتها المجتمعات الإسلامية في الماضي والحاضر . ومثله مفاهيم والجمود » التي مثلتها العقم الفكري ، وعدم الفاعلية الاجتماعية ، والقعود عن العمل وتحمل

من تاريخ المجتمعات في الماضي المسؤولية في فترات مختلفة والحاضر .

وأما مضاعفاته النفسية فهو يفرز نوعين من البشر : نوع يحمل مشاعر التطرف ويندفع بما يشبه الانتحار ، ونوع يتحنط أكفان الجمود ويموت عقلياً ونفسياً بانتظار المحت الجسدي .

وأما مضاعفات الظلم الاجتماعي فهو يعزز نوعاً من البشر إذا كانوا في موقع القيادة « تفرعنوا » وانتفخوا وتعاظموا وتعدوا حدود الإنسان ، وإذا كانوا في موقع التبعية تصاغروا وتقلصوا ورضوا بالهوان ، وإذا تفشى الظلم في شعب معين أو أمة معينة شاعت فيه مضاعفات مرض : انتفاخ الشخصية وتقلصها ، وتحدرت مع العادات والتقاليد ونفشت في اللغة والثقافة والعلاقات وصارت جزءاً من التراث المتحدر مع الأجيال وأفرزت نماذج بشرية تبالغ في المدح والمداهنة إذا تكلمت ، وتبالغ في العجرفة إذا تسلطت ، وتبالغ في الصغار إذا استضعفت ، واتصفت بالتردد والجبن وعـدم القدرة على اتخاذ القرارات وعدم القدرة على تحمل المسؤولية ، وعدم القيام بالواجب ، وشاع فيها عدم الاقدام والمبادرة ، وقتلت فيها روح المغامرة ، وشاع فيها الغش والخداع والعجز وعدم انجاز العمل وغير ذلك من صفات العقم الاجتماعي والأخلاقي والإنتاجي ، ولذلك تلجأ الدول الغازية والمستعمرة إلى مساندة الأنظمة الدكتاتورية والمستبدة كوسيلة لتعطيل فاعلية الشعوب في المقاومة وطلب الاستقلال ، ومتطلبات الإنتاج .

۳ ـ علاقة العدل والإحسان وعلاقة الصراع والبقاء للأقوى في الفلسفات التربوية المعاصرة : تسير التربية الحديثة في الاتجاه المعاكس لعلاقة العدل والإحسان التي استعرضناها ، فالتربية الحديثة تقيم علاقة الإنسان بالإنسان على أساس ـ الصراع والبقاء للأصلح .. والأصلح هنا هو ـ الأقوى ـ . وهذه العلاقة اشتقها فلاسفة التربية الحديثة من الدارونية البيولوجية التي ترجموها فيها عرف باسم « الدارونية الاجتماعية » . ويمكن القول أن لفلاسفة التربية في أميركا الدور الأكبر في إفراز هذه « الدارونية التربوية » التي تعد الفرد لدخول معترك « الدارونية الاجتماعية » . ولقد بدأ دخول الدارونية إلى أميركا حين بعث دارون من كتابه ـ أصل الأنواع ـ إلى صـديقـه ـ اسـا جـرای Asa Gray - مدرس الأحياء في جامعة نسخة

دار دارد . وبعد ان درس - جراي ـ تلك النسخة نشر عنها مقالاً في ـ المجلة الأميركية للعلوم والآداب ـ ممهدا الطريق التي راحت تبجل الفكرة الجديدة أمام نهم عدة من المقالات الإلحاد والهرطقة . وإلى جانب ـ جراي ـ ظهر عدد من المشايعين لفكرة التطور الدارونية من أمثـال ـ إدوارد سلبي Edward Silsson ـ وجـون فك John Fiske – وإدوارد النجستون يومانز Edward Livingston Yomans . ثم انتشر الحماس لفكرة والتطور وانتقاء الأصلح » حيث وجد فيها كل فريق من فرقاء الصراع والتنافس في مبادين الحياة المختلفة مبرراً لممارساتهم وأساليبهم في التفوق والربح والانتصار ضد الفرقاء المهزومة والخاسرة . ولقد علق البروفسور – ريتشارد هوفز نادر - أستاذ التاريخ في جامعة كولمبيا ( حتى عام ١٩٧٠ ) على هذا الحماس الأميركي للدارونية واستناد الأطراف المتصارعة عليها لتبرير ممارساتها بقوله : وليس من الضروري أن تكون الأفكار صحيحة ومنطقية حتى يتم قبولها . وإنما المقياس هو ملائمتها لخدمة الرغبات العامة الاجتماعية .

وهذه من أبرز المصاعب التي يجب أن يواجهها مخططوا التغيير الاجتماعي .

1. العلاقات الإنسانية في نظم التربية في العالم الإسلامي المعاصر :

من الموضوعية أن نقول إن المؤسسات التربوية القائمة في العالم الإسلامي المعاصر تجهل « علاقة العدل والإحسان » ولا تجسدها في مناهجها وتطبيقاتها ، سواء المؤسسات الإسلامية التقليدية أو المؤسسات التربوية الحديثة .

اما بالنسبة للمؤسسات الإسلامية التقليدية فما زال مدار اهتمامها هو (الفرد ) ، الذي يؤدي الشعائر وينجو في الآخرة ، فالفرد هو المثل الذي يتكرر ذكره في الدروس والمؤلفات ، أما « الأمة » التي تتكون من نسيج من الأفراد والقيم وشبكة علاقات إجتماعية تتوزع بين حدي العدل والإحسان فهذه اختفت باختفاء عصور الازدهار التربوي وحلول عصور الركود والمذهبية التي ورثت المؤسسات التربوية المعاصرة الكثير من نظمها ومناهجها .

وحينما أرادت هذه المؤسسات إصلاح نظمها في القرن الحالي ـ أو الستينات منه على التحديد ـ اكتفت باستعارة البيروقراطية الغربية التي تصارع الجامعات والمؤسسات التربوية هناك للتخلص من آثارها في سلطة المنصب أو الوظيفة .

وفي إشاعة الطبقية بين المدرسين من ناحية وبين الطلبة من ناحية أخرى . وهي طبقية تفرزها طبقية الشهادات والرتب العلمية والوظائف الأكاديمية .

أما المؤسسات الحديثة التي قامت في العالم العربي والإسلامي ـ ابتداء ـ على النمط الأوروبي والأمريكي فهذه افتقرت منذ البداية إلى علاقة العدل والإحسان، وأقامت فلسفتها على الأساس الغربي الذي يركز على تنمية - علاقات العمل والإنتاج ـ حيث المعلم يمثل دور مراقب العمال ، والمدير بمثل رئيس المصنع ، والطلبة يتدربون على مهارات العمل والتعايش مع نظمه وتقاليده وفي جميع هذه الأحوال تهمل العلاقات الإنسانية الرفيعة إلا ما يقتضيه تسهيل إنجاز العمل وزيادة الإنتاج .

ولقد انعكس فقدان ـ علاقة العدل والإحسان ـ من كلا النوعين من المؤسسات التربوية القائمة في العالم العربي والإسلامي على شخصية الخريجين من هذين النوعين من المؤسسات التربوية .

فلقد اتسمت شخصية الخريج من المؤسسات الإسلامية ـ بشكل عام ـ بأنه إنسان معطل الفاعلية يؤدي وظيفة (الرمز) أكثر من وظيفة « الإنسان العامل » . وهو ليس له اختيارمحدد إزاء مواقف الابتلاء الثلاثة لأنه في الغالب بأخذ بالاختيار الثاني من اختيارات القدر في قاعة الابتلاء ، أي: أنه يستسلم للشر ولا يتناول الخبر ليصارع به الشر كما هو مطلوب علاقة الابتلاء .

أما عن شخصية الخريج من المؤسسات الحديثة فهو يشبه الخريجين من المؤسسات الحديثة السائدة في العالم الغربي والمناطق التي تأثرت بأنماط التعليم الغربي ، فهو في أحسن احواله يكون إنساناً محايداً ، لا هو من أنصار القيم والمباديء ، ولا هو من المعادين لها . ويطلق المختصون في التربية على هذا النوع من الخريجين اسم ( Amoral ) وتعرفه قواميس اللغة الانجليزية بأنه الشخص الذي لا يكون أخلاقياً( Moral ) ولا يكون منحلا غير أخلاقي ( Immoral )

والسمة البارزة هذا النوع من الخريجين هو العمل تحت أي لواء وفي ظل أية قيادة وفي كل موقع دون ولاء مسبق لفكرة أو مبدأ أو جماعة .

وإنما ينغمس في العمل الذي يسند إليه ، وينفذ التعليمات والأوامر دون اعتبار لاتفاقها أو تعارضها مع الحق والدين والقيم والأخلاق . وهو لا يجد حرجاً في هذا السلوك المحايد ما دام يتقيد باللوائح والنظم وينقذ التعليمات والأوامر . هو في الحقيقة ـ إنسان آلي Robot – أو هو يجسد نموذج الرقيق لعصر التكنولوجيا العلمية .

الى هنا داخل و درست وتداولناها في المحاضرات التي لايحضرها الا ثلاث طلبة او اربعة وانتهت باجازة طرق التدريس لمدة شهركامل....

رابعاً : علاقة الإنسان بالحياة ـ عـلاقـة ابتـلاء :

ـ معنى الابتلاء وأشكاله : العلاقة التي تربط الإنسان بالحياة ـ حسب فلسفة التربية الإسلامية ـ هي علاقة ابتلاء » . والابتلاء معناه الامتحان أو الاختبار ، أي اختبار مدلول العبادة بمظاهرها الثلاثة : الديني والاجتماعي والكوني ،

فالابتلاء هو المظهر العملي لعلاقة العبودية التي مر ذكرها بين الله والإنسان والتي عرفناها بأنها : كمال الطاعة لكمال المحبة » .

والحياة هي الزمن المقرر لهذا الابتلاء أو الامتحان : وهو الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا). ([[76]](#footnote-76)). والأرض هي القاعة التي يجري فيها الابتلاء والاختبار .

وما على الأرض من ثروات ومنتوجات وزينة هي مواد هذا وما على الاختبار وأدواته : . ( إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم احسن عملا) ([[77]](#footnote-77)) .. وأبرز مظاهر هذه الزينة هي المال والذرية : .

( المال والبنون زينة الحياة الدنيا والبـاقيـات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا ) ([[78]](#footnote-78)) .

أما ميادين هذا الاختبار فها ميدانان رئيسيان :

الأول: ميدان المال والممتلكات .

والثاني ميدان النفوس : ( لتبلون في أمـوالـكـم وأنفـسـكـم) ([[79]](#footnote-79)).

. وتنقسم أشكال الابتلاء إلى قسمين رئيسيين :

الأول: يضم مواد الاختبار التي يدرجها القرآن تحت اسم « الخير » أو « الحسنات » أو « السراء » .

والثاني: يضم مواد الاختبار التي يدرجها القرآن تحت اسم « الشر » أو « السيئات » أو « الضراء » :

-(ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون » ([[80]](#footnote-80)).

(وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون). ([[81]](#footnote-81))

ويقدم القرآن الكريم تفاصيل القسم الأول ومواده التي تندرج تحت اسم « الشر » أو « السيئات » أو « الضراء » ويسوق له آلاف الأمثلة منها الاختبار بالمصائب والمحن والخوف والجوع والنقص في الأموال والأنفس والمحاصيل والثمار والاختبار بالحروب والهزائم والمرض والاضطهادات وغيرها .

-(ولنبلونهم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس﴾([[82]](#footnote-82)) .

ـ ( ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض) ([[83]](#footnote-83)).

ـ (ولنبلونكم حتى تعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم)([[84]](#footnote-84))

-( إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ﴾ ([[85]](#footnote-85)).

-« إذ أنجيناكم من آل فرعون يسـومـونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم » ([[86]](#footnote-86)).

كذلك يقدم القرآن تفاصيل القسم الثاني من الابتلاء ومواده التي تندرج تحت اسم « الخير » أو « الحسنات » أو « السراء » ،

ويقدم له آلاف الأمثلة ومنها الابتلاء بالثروة والجاه وكثرة الأبناء والأتباع من العشائر والأقوام ، والنصر والقوة ، والمناصب والمكانة الاجتماعية والجمال والصحة وغير ذلك ؛

ويقدم القرآن تفصيلا لهذه الأنواع من الاتبلاء بالخير : أشكال الابتلاء بـ « الخير » الاختبار بـالقـدرة فمن والسلطان وعلو النفوذ :

-(فلما راه مستقراً عنده قال هذا ليبلوني ) ([[87]](#footnote-87)).

ومن أشكال الابتلاء بـ « الخير » الاختبار بالجاه وعلو ضل ربي المناصب والمكانة الاجتماعية : - ( ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ) ([[88]](#footnote-88)).

أشكال الابتلاء بالخير الاختبار بوفرة المراكب ومن ووسائل المواصلات الفارهة والمنازل الفاخرة : (فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين ، وقل رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين، إن في ذلك لآيات وإن كنا لمبتلين) ([[89]](#footnote-89)).

ومن أشكال الابتلاء بالخير الاختبار بطاعة الله ومدى الالتزام بأوامره ونواهيه :

« يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد﴾ ([[90]](#footnote-90))..

ـ « واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم . كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون ) ([[91]](#footnote-91)) .

. اشكال الابتلاء بالخير الاختبـار بـالـعـقائـد ومن والاتجاهات :

( وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص مافي قلوبكم »([[92]](#footnote-92)) .

ومن أشكال الابتلاء بالخير اختبار الاخلاص في حمل الرسالات الإلهية والتضحية في سبيلها :

-( وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن﴾ ([[93]](#footnote-93)).

- ( ولقد اخترناهم على علم على العالمين، وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين ) ([[94]](#footnote-94)). ( الدخان : الآيتان ٣٢ ـ ۳۳ ) .

-( ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم).

وأخيراً فإن الإنسان مبتلى ، بنفسه وتركيب خلقه ومكونات شخصيته حيث جعل الله فيه القاسمية للميل مظاهر الخير أو الميل إلى مظاهر الشر ، ثم طلب إليه أن يأخذ نفسه دائها بوسائل التربية والتركية التي تهيؤه للأخذ بمظاهر الخير والبعد عن مظاهر الشر :

-(إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه) ([[95]](#footnote-95)) .

(ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ) ([[96]](#footnote-96)) ،

والإنسان يعيش شكلي هذا الابتلاء ـ الابتلاء بالخير والابتلاء بالشر ـ في كل لحظة من لحظات عمره الدنيوي وفي كل عمل من أعمال الدنيا بشكل مزدوج . أي أنه في كل موقف ابتلاء يكون طرفاً مقابلا لإنسان آخر يعيش الوجه المقابل من موقف الابتلاء .

فالذين يختبرون ـ أفراداً أو جماعات ـ بالغنى في موقف ما ، يشاركهم في نفس الموقف أناس يختبرون بالفقر .

الذين يختبرون بالنصر في موقف ما، يشاركهم في نفس الموقف أناس يختبرون بالهزيمة ،

والذين يختبرون بالقوة في موقف ما، يشاركهم في نفس الموقف أناس يختبرون بالضعف،

والذين يختبرون بالرئاسة والملك والقيادة في موقف ما، يشاركهم في نفس الموقف أناس يختبرون بالتبعية والمرؤوسية،

والذين يختبرون بالعلم في موقف معين، يشاركهم في نفس الموقف أناس آخرون يختبرون بالجهالة . ودنو المنزلة .

والذين يختبرون بالإيمان في موقف ما، يشاركهم في نفس الموقف أناس يختبرون بالكفر . وهكذا فالناس في كل موقف من مواقف الحياة زوجان متقابلان لعلاقة الابتلاء ـ أفراداً وجماعات وأمم ـ . كل يختبر ويبتلى بالآخر ويتولد من هذا الابتلاء المتبادل أفعال الطاعة والمعصية ، ومظاهر الصواب والخطأ ، والحق والبـاطـل والفضيلة والرذيلة إذ يطلب إلى الأزواج المتقابلة أن تستجيب لأوامر الله وتوجيهاته فيما يخص دورها في موقف الابتلاء .

فيطلب ـ مثلا ـ إلى المبتلين بالمال أن ينفقوه فيها أمر الله ، بينا يطلب لها المبتلين بالفقر أن يحاربوه بالعمل الدؤوب والإنتاج المستمر ، وأن يقابلوا كل معونة تقدم لهم بالشكر والمودة ، وكل حرمان لهم بالرفض والمقاومة .

ويطلب إلى المبتلين بالنصر والفتح أن يتواضعوا وأن يستغفروا الله من مشاعر الغلبة والطغيان والاعتزاز بالنصر ،

بينها يطلب إلى المبتلين بالهزيمة أن يتبينوا أسبابها العقلية والنفسية والمادية ـ بالمقياس الإمي – وأن يعالجوها بما أمر الله ويطلب إلى المبتلين بالرئاسة والملك والقيادة أن يتصفوا بالعدل والرحمة والشعور بالمسؤولية والتعفف ،

بينها يطلب إلى المبتلين بالتبعية والمرؤوسية أن يطيعوا فيها أمر الله وأن يعصوا فيا نهى الله دون خنوع أو ذل .

ويطلب إلى المبتلين بالعلم ان يسعوا في نشره وتعليمه واستثمار تطبيقاته لخير الإنسانية ، بينما يطلب إلى المبتدين بالجهل أن يسعوا في البحث عنه وتعلمه وتطبيقه .

ويطلب إلى المبتلين بالإيمان أن يبذلوا المال والنفس لإبلاغ الإيمان إلى المبتلين بالكفر .

بينها يطلب إلى المبتلين بالكفر أن يطهروا نفوسهم وحياتهم منه ومن آثاره وأن يتلقوا الإيمان ـ من أهله ـ بالقبول والرضى والشكر وهكذا .

(ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيها أتاكم ) ([[97]](#footnote-97)) .

-(لو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ورفع بعضكم فوق بعض درجـات ليبلوكم فيها آتاكم »([[98]](#footnote-98)) .

وفي كلتا الحالتين من الابتلاء يطلب إلى كل مبتلى أن يحافظ على ـ منزلة العبد الموحد ـ الذي يلتزم أوامر الله فيها يقتضيه موقف الابتلاء . ويقدم القرآن قصصاً وحوادث لأناس امتحنوا بالخير فالتزموا ما يقتضيه موقف من عبودية وطاعة الله .

من ذلك ما رواه عن سليمان عليه السلام حين ابتلاء الله بقوة السلطان والنفوذ في الأرض ووفرة وسائل التنفيذ والإنجاز :

« قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك . فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني اأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم) ([[99]](#footnote-99)) .

ومثله « ذو القرنين » الذي كان يرأس دولة احتلت مكانة القوة العظمى في الأرض فلما بلغ نفوذه مغارب الأرض ووجد شعوباً متخلفة لم يستغل تخلفها وجهلها وإنما نشر فيها الرشد والتقدم . وعندما بلغ نفوذه مشارق الأرض ووجد شعوباً ببعض . سورة محمد : ربي مستضعفة وضحية العدوان الهمجي المتكرر، لم يتخذ منهم وحصون تقيهم العدوان رافضا الثمن الذي عرضوه ومجسداً اخلاقية الدولة العظمی کا پريدها الله سبحانه وتعالى :

(قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سداً نال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني يقوة أجعل بينكم وبينهم ردما، أتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال الفخوا حتى إذا جعله نارا قال أتوني أفرغ عليه قطراً فيا اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً . قال هذا رحمة من ربي﴾ ([[100]](#footnote-100)).

ومثله « يوسف » عليه السلام الذي امتحن بمحبة الوالد ونضرة الشباب وجماله مما جلب عليه حسد الأخوة وعدوان النسوة . وفي كلا الامتحانين التزم أوامر الله متحملا في ذلك ما يقتضيه موقف الابتلاء من ثبات وتضحيات . وفي المقابل يقدم القرآن قصصاً لأناس امتحنوا بالخير فطغوا وفشلوا وذاقوا وبال هذا الفشل والطغيان :

من ذلك قصة فرعون الذي كان يرأس دولة احتلت مكانة القوة العظمى في الأرض فاستخف بشعبه واستبد في اخل وأشاع الفتن والحروب والدمار في الخارج فأذاقه الله وبال أمره وأبقاء مومياء محنطة ليكون لمن خلفه ايه !

ومثله قارون ـ الذي كان من قوم موسى عليه السلام ـ والذي امتحن ببسطة العلم والجسم ووفرة الثروة فأصابه البطر وزعم أن ما ابتلي به من خير هو ثمرة علمه ودعم وخبراته ثم راح يستغل منزلته وإمكاناته لنشر الفساد الظلم والتفنن في الترف والزينة فكانت النتيجة لممتلكاته وهلاكا لنفسه .

ومثل فرعون وقارون ـ أصحاب الجنة ـ أي البستان الذين أقسموا أن يخرجوا على نهج سلفهم في البذل والإنفاق ، وأن يستأثروا بثمره ويغلقوا أمام الفقراء أبوابه فأرسل الله عليهم أسباب خرابه :

( إنا بلوناھم کا بلونا أصحاب الجنة إذ أقسمـوا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون ، فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون . فأصبحت كالصريم ، فتنادوا مصبحين أن اغـدوا على حرثكم إن كنتم صارمين . فانطلقـوا وهم يتخافتون ، أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ، وغدوا على حرد قادرين . فلما رأوهـا قالوا إنا لضالون . بل نحن محرومون . قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون، قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين، عسي ربنا أن يبد لنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون . كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) ([[101]](#footnote-101)).

والجنة ـ هنا ـ رمز للممتلكات ومصادر الثروة التي هي إحدى مظاهر الابتلاء بالخير .

وهو رمز يختلف حجمه ونوعه باختلاف الأزمنة والأمكنة ، فقد يكون في زمننا بندا تموج بمصادر الثروة أو قارة تصبح بالخصب والازدهار الاقتصادي بينها تعاني الأقطار الأخرى من نقص في الموارد أو فحط في المحاصيل أو وفرة في الفقراء والمحتاجين ، فيتداعى أهل الأقطار المزدهرة إلى فرض القوانين واتخاذ الإجراءات التي تمكنهم من الاستثار بما ابتلوا به من خير بينها تحرم المحتاجين من العمال والفقراء والطلبة في الأقطار الأخرى من القدوم والاستفادة من هذا الخير . وهنا يطوف عليهم « طائف الرب ، في شكل غزو خارجي ، أو فتنة داخلية ، أو حرب مدمرة ، أو تضخم في الاقتصاد أو كساد في الأسواق ، أو خراب في الإنتاج وتكون نتيجة ذلك كله رحيل الازدهار والثروة إلى قطر آخر ليبدأ دوره في الابتلاء . إلى - الفقير وهذان صاحبان « يبتلى ، أحدهما بجنتين من الثمار والزرع بينها « يبتلى » الثاني بالفقر والحرمان ، وتقوم علاقات الاثنين طبقاً لمقاييس الثروة والجاه ويتصرف الغني مع حسب مقياس معين خلاصته ( أنا أكثر منك مالاً واعز نفرا) ([[102]](#footnote-102)).

ويقوم بينهم الحوار فيلعب الخيلاء والغطرسة برأس المبتلى بالخير ويتعالى ويتطاول إلى أن يقول : ( ما أظن أن تبيد هذه أبدا . وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي خيراً لأجدنّ خيرا منها منقلباً) ([[103]](#footnote-103)) .

ويحذره المبتلى بالفقر عواقب هذا ويقول : « أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفةٍ ثم سواك رجلا . لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا . ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا ) ([[104]](#footnote-104)) .

ويأتي عقاب الله في ثروته : ( وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها أحدا ، ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا ) ([[105]](#footnote-105)).

والابتلاء بـ الخير » أعظم خطورة من الابتلاء بـ ( الشر) . وإلى ذلك يشير قوله صلى الله عليه وسلم بقوله :

( لأنا من فتنة السراء أخوف عليكم من فتنة الضراء ، إنكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم ، وإن الدنيا حلوة خضرة » .

ويقول كذلك : ( لأنا أشد عليكم خوفاً من النعيم مني من الـذنـوب ، ألا إن النعم التي لا تشكر هي الحتف القاضي ؟ کنز العمال:۳ ، ٢٥٧ .

ذلك يقدم القرآن نماذجاً وأحداثا لأفراد وجماعات امتحنوا بالشر ففشلوا وسقطوا وذاقوا نتائج سقوطهم :

من ذلك شعب فرعون الذين سمحوا لفرعون أن(يتفرعن)ويستخف بعقولهم ويتلاعب بمصائرهم ومقدراتهم دون اعتراض ولا مقاومة :

( فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين » ([[106]](#footnote-106))..

ومنها قصة قوم موسی الذين « ابتلوا » برسالة الإصلاح وتكاليف الجهاد في سبيلها فأجابوا موسى " أن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون . فكان فشلهم في الابتلاء باباً لسلسلة من العقوبات التاريخية المتلاحقة . ومثل هذه القصص كثير .

۲ – قوانين الابتلاء :

وهذان المظهران لعلاقة الابتلاء : مظهر الابتلاء بالخبر ، ومظهر الابتلاء بالشر، يتعاقبان في حياة الإنسان لحظة بلحظة طبقاً لقوانين مقدرة خلاصتها:

- القانون الأول:لتتحقق علاقة الابتلاء يلقي الله في قاعة الحياة بمواد الابتلاء من مظاهر الخير والشر ثم يترك للعبد ثلاثة اختيارات:

الاختيار الأول : أن يأخذ بالشر .

والاختيار الثاني: أن يستسلم للشر،

والاختيار الثالث: أن يتناول الخير ليدفع به الشر .

وتحرص التربية الإسلامية على تربية إرادة المتعلم للأخذ بالاختيار الثالث أي تناول الخير ليدفع به الشر، كأن يزيل الكفر واتجاهاته بالإيمان وتطبيقاته ، ويزيل المرض بالدواء، ويزيل الفقر بالعمل ، ويدفع العدوان بالجهاد ، وتحارب الجهل بالعلم ، والظلم بالعدل وهكذا ، ثم تعريفه بمخاطر الاختيارين الآخرين : أي مخاطر مناحرة الشر أو الاستسلام له وتنفيره منها .

القانون الثاني : أن لكل حالة من أحوال « الخير » أو « الشر » زمن تحل فيه وآخر تنتهي عنده . ولذلك يجب على الإنسان وهو يعالج ـ الشر ـ أن ينتظر ويصبر حتى تسفر الحالة عن ضدها وينقضي أجلها كما ينقضي الليل فيسفر عن النهار .

فمن طلب النهار في أول الليل لا يحصل عليه بل إن ظلمة الليل تزداد حتى تبلغ نهايتها ويطلع الفجر ويحل النهار .

ومثله الذي يعالج الجرح أو الطعنة ويطلب الشفاء ، فإنه لا يحصل له الشفاء عاجلا بل لا بد من تورم الجرح وارتفاع حرارته ثم يعقب ذلك الالتئام والشفاء ، ولو أنه أراد الشفاء قبل أوانه لم يحصل عليه ويصيبه الضجر والقلق . ومن شأن هذا القلق والضجر أن يدفعاه إلى التخبط في المعالجة فتفضي الحالة السيئة إلى ما هو أسوأ ،

وإلى هذا وجه الله رسوله حين اشتدت عليه حالة الابتلاء بالشر الذي مثله اضطهاد المشركين وعنتهم : ( والضحى والليل إذا سجى ، ما ودعك ربك وما قلى) ، فكلما سجى الليل أي اشتدت ظلمته دل ذلك على اقتراب شروق الشمس وتألق الضحى . وكلما اشتدت حالة الابتلاء بالشر دل ذلك على اقتراب حالة الخير وتألقها ، فالحالتان دوارتان متعاقبتان بتقدير وقوانين إلهية .

والقانون الثالث ؛ إن الانتظار لانقضاء حالة الشر لا يعني الاستسلام للشر .

- فالله سبحانه يدين المستسلمين المستضعفين المقاومين : .

( والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون) ([[107]](#footnote-107))

-ويمتدح وهو سبحانه يشجعهم على هذا الانتصار للحق ويعلن وقوفه إلى جانبهم ضد البغاة الظالمين : ( ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ، إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم »([[108]](#footnote-108)) .

لذلك لا بد للإنسان خلال الفترة التي يبتلى بها بالشر أن يعالج آثار هذا الشر ويتقي مضاعفاته وآثاره السيئة بكل الوسائل المناسبة مثلما يعالج ظلمة الليل وينقي أخطارها بنور المصابيح وتعبيد الطرق ونشر الشرطة والخفر حتى ينجلي الظلام ويطلع الفجر ويحل النهار ,

ولو أنه أراد التخلص من الظلام ومضاعفاته دون نورالمصابيح وتعبيد الطرق وتوفيرالحراسات الليلية لما نجا من الظلام والأخطار التي تنبعث خلاله ، ومثله لو أراد التخلص من الجرح العميق ومضاعفاته دون استعمال الأدوية المناسبة .

والقانون الرابع ؛ أن الإنسان لا يحسن دائماً اختيار الوسيلة المناسبة لمعالجة الشر . فهو أحياناً ـ بقصد أو دون قصد يختار أن يعالج الشر بشر مثله ، وأحياناً يختار الاستسلام للشر ، وأحياناً يتناول خيراً ليس فيه التأثير اللازم لمعالجة الشر . لذلك فهو يحتاج إلى أمرين :

الأول: نماذج للسلوك المطلوب خلال مواقف الابتلاء وهذه النماذج هي التي جاءت بها الرسالة الإسلامية .

والثاني : حين يمارس الإنسان الاختيار الخاطىء عليه أن يسارع إلى مراجعته وتقويمه وتصويبه . وهذا التقويم هو التوبة ، التي يشجع عليها الإسلام ويجعلها من أسباب محبة الله ورضاه : ـ(إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) ([[109]](#footnote-109)) .

3 ـ الابتلاء والاختلاف والدرجية :

يرتبط مفهوم الابتلاء في التربية الإسلامية بمفهوم آخرهو-الاختلاف والدرجية ـ

ومعنى الاختلاف أن الله خلق الناس مختلفين في الاستعدادات والقدرات لينتج عن ذلك اختلاف في المهن والصناعات .

فهناك أناس يغلب عليهم الاستعدادات والقدرات الفكرية ،

وأناس يغلب عليهم الاستعدادات والقدرات الصناعية .

وأناس يغلب عليهم الاستعدادات والقدرات العسكرية ،

وأناس يغلب عليهم الاستعدادات والقدرات العلمية وهكذا .

وهم في هذه الاستعدادات متفاوتو القدرات :

فمنهم من يستطيع بلوغ درجة الابتكار والإبداع .

ومنهم من يستطيع فهم المبتكرات وتحويلها إلى تطبيقات عملية .

ومنهم من يقف عند محاكاة الآخرين واستعمال التطبيقات التي يبتكرونها .

أما الدرجية فمعناها أن الله جعل الناس درجات فيها مختلفون فيه ، ويتحدد مستوى ابتلاء كل فرد طبقاً للدرجة التي وضعه الله فيها، وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيها آتاكم . إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم »([[110]](#footnote-110)) .

. وهذه الدرجية أنواع هي :

۱ – درجية في النبوة والرسالة : - ( تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجـات) ([[111]](#footnote-111)) .

۲ – درجية في الجزاء الأخروي : ( افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم ويش المصير . هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون﴾([[112]](#footnote-112)) .

- ( ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عها يعملون﴾ ([[113]](#footnote-113)).. حقاً ( أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) ([[114]](#footnote-114)) ـ ( ولكل درجات مما عملوا »([[115]](#footnote-115)) .

ـ « ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى). ([[116]](#footnote-116))

3 – درجية في الإسلام : ( لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرروالمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرأ عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيماً). ([[117]](#footnote-117)) .

4 - درجية في الفهم والعلم : ( تلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ترفع درجات من نشاء) ([[118]](#footnote-118)) .

5-. درجية في المكانة والابتلاء : )وكذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم). ([[119]](#footnote-119))

6 - درجية في القيادة والتدبير : ( لهن مثل الذين عليهم بالمعروف وللرجال عليهن درجة). ([[120]](#footnote-120)) . درجية في العطاء المادي والمعنوي : ـ وكلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا ، انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ) ([[121]](#footnote-121)) .

۸ – درجية في المعيشة والمكانة الاجتماعية : - ( أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا). ([[122]](#footnote-122)) .. وهكذا في جميع مظاهر الحياة .

ويلاحظ على الاختلاف والدرجية أمور:

الأول: أن الأساس في كل من الاختلاف والدرجية أنهما ابتلاء لا امتياز وتفوق،أي:أن أهل كل درجة هم ممتحنون بأهل الدرجة المقابلة ، ومسؤولون عن علاقتهم بهم وعما يعاملونهم به من خير او شر .

فأصحاب القيادة ممتحنون بما يتهيأ لهم من الجاه والقوة ومسؤولون عن استعمالها لنصرة المظلومين وقهر الظالمين وإشاعة العدل والأمن والاستقرار .

وأهـل المال ممتحنون بما يجمعونه من الثروة وعـروض التجارات ، وهم مسؤولون عن الإسهام في الحياة الكريمة لأصحاب الدرجات الأخرى .

وأهل العلم ممتحنون بعلمهم وهم مسؤولون عن الإسهام في محاربة الجهل وتوفير فرص التعلم لأصحاب الدرجات الأخرى . وهكذا في جميع الفئات المختلفة . وأصحاب الدرجات الأعلى من هذه الفئات ممتحنون بتدبير أمور أهل الدرجات الأدنى ومسؤولون عن رعايتهم والإحسان إليهم والتواضع معهم ونصرتهم وإيوائهم والعدل في معاملتهم ، فإذا خرجوا عن حدود درجية الابتلاء والمسؤولية وقلبوها إلى طبقية التسلط والامتياز والاستئثار والترف وقعوا في المعصية واستحقوا العقوبة .

وكذلك أهل الدرجة الأدنى هم ممتحنون بالتعامل مع أهل الدرجة الأعلى بالفهم والاتباع لا بالتقليد والانصياع مسؤولون عن الإخلاص والنصيحة هم وشكرهم فيها أحسنوا وطاعتهم في الحق مما أمروا . ولكنهم كذلك مسؤولون عن مراقبتهم ومحاسبتهم إذا أتوا ما يخالف الأوامر والتوجيهات الإلهية . فإذا تخلى أهل الدرجة الأدنى عن مفهوم هذا الابتلاء وقلبوه إلى تبعية التقليد والمراهنة والنفاق والوصولية والنفعية والخنوع وقعوا في المعصية واستحقوا العقوبة .

والثاني : أن هذا الاختلاف في الاستعدادات والقدرات ، والتفاوت في الدرجات غاية من غايات الخلق . وإلى هذه الاستعدادات يشير قوله تعالى : ـ « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم). ([[123]](#footnote-123)) .

أي خلقهم ليكونوا مختلفين في القدرات العقلية والجسدية والاستعدادات المهنية ، وفي الدرجات والمهن ، وفي الألوان واللغات والأجناس ، وليتحدر فيهم هذا الاختلاف جيلا بعد جيل وفي ذلك أسباب التكامل وإيجاد قنـوات التعاون والتبادل ، وليقضى الناس حاجات بعضهم بعضاً ويساعد بعضهم بعضا وبذلك تشيع المودة بينهم وتتوثق روابطهم .

ولا يقف هذا الاختلاف عند الأفراد وانما ينسحب على البيئات والأمم والأجناس والثقافات وأنماط التفكير ، فهناك امم يغلب عليها طابع التأمل الفكري ، وأمم يغلب عليها النظر العلمي ، وأمم يغلب عليها الإحساس الفني ، وأمم يغلب عليها التذوق اللغوي والأدبي وهكذا ،

ولقد ضرب . مثلا لهذا الاختلاف بكل من الرجل نبي - الشرقي والرجل الغربي . فذكر أن الرجل الشرقي يجلس ليتأمل الجبل أو السهل فيقوده التأمل إما إلى نظم قصيدة أو كتابة مقالة في جمال المنظر ، وإما أن يتصاعد به التأمل ليصل إلى فكرة الخالق والخلق . ثم ذكر الرجل الغربي الذي بجلس نفس المجلس فيقوده التأمل إما إلى تطوير التربية وإنشاء المزارع ، وإما أن يتغلغل به التفكير إلى باطنها لاكتشاف ما تحتوي عليه أعماقها من معادن وما توفره من استثمار . ولو أحسن الرجلان استثمار هذا الاختلاف لوجدا فيه أسباب التكامل والوحدة وتبادل الحاجات المادية والمعنوية بدل التنابز والصراع وتبادل التهم والتشهير بالنقائص .

والأمر الثالث : أن الاختلاف المشار إليه يعطي ثماره في جعل الحياة مليئة بالتنوع والتجدد مما يجعلها جميلة ممتعة ، غير حملة ولا رتيبة ما دامت تقترن بفهم علاقة الابتلاء والمسؤلية ٲمام الله، ولكن حين يغيب هذا الفهم فٳن الاختلاف ينقلب سببا من أسباب الخلاف والخصومات الفردية والأسرية والأممية والقارية والفطرية وهكذا

والأمر الرابع ، أن الاختلاف والدرجية المشار إليها يعطيان ثمارهما في تعزيز المحبة والطاعة وتنظيم الجهود والتعاون ، وتسخير قدرات البشر وتنظيمها وفي الإنتاج وشيوع الأمن والسلام ما دام الاختلاف والدرجية مقترنين بمفهوم الابتلاء والمسؤولية أمام الله .

وهكذا كانت حال المجتمعات قادها الرسل والأنبياء والصالحين من الحكام والأمراء الذين أرسوا أسس الحضارة الإسلامية وقادوا فترات الإصلاح والتجديد من أمثال عمر بن الخطاب وعمر بن عبدالعزيز ونورالدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي .

وهذا هو الذي يتفق مع فطرة الخلق التي فطروا عليها التي لا تقتصر هذه الدرجية على بني الإنسان وإنما تمتد إلى الكائنات كلها من الحيوان والنبات والجماد ، ولكن الدرجية فيها ذات سمة خاصة بها تنفق والأهداف التي خلقت من أجلها ، إذ الأصل أن هذه الكائنات خلقت من أجل الإنسان وهي بعض عناصر التوازن في بيئته التي يعيش خلالها على الأرض : (وهو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً) ([[124]](#footnote-124)).

أما الإنسان فقد خلق لعبادة الله كأمر، ولذلك اتصفت درجية الإنسان في الفكر والأعمال القائمة على حرية الاختيار بينا انصفت درجية الكائنات المشار إليها بأنها درجية التركيب والوظائف . ولقد لاحظ دارون هذه الدرجية في الفريقين ولكنه خلط بينها ولم يدرك الفرق القائم بينهما ، ووقع من الخطأ منه ما وقع وبرر طبقية الاستغلال والاستمتاع تحت مقولة البقاء للأصلح . وجاءت تفسيرات الماركسية رد فعل مناقض للدارونية الاجتماعية ولكنها أيضاً كانت سطحية التشخيص لأن المجتمعات التي قامت على أساس الماركسية انتهت إلى الطبقية الرأسمالية نفسها .

4 ـ الدرجيـة والطبقية في الفلسفات التربوية المعاصرة :

قلنا إن الفلسفات التربوية المعاصرة تسير في الانجاء المعاكس لعلاقة الابتلاء ، وأنها تقيم علاقة الإنسان بالحياة على أساس ـ الصراع بين الأحياء وبقاء الأقوى ـ . ولقد صاحب هذا الفهم الخاطيء ، خطأ آخر لظاهرة ـ الدرجية ـ فانقلبت في الفلسفات المذكورة إلى ـ طبقية - متسلطة ، ونفوذا وثروة كما قدمنا لذلك في علاقة الإنسان بالإنسان . ونتيجة لذلك كله سادة علاقات الحسد والكراهية والريبة بين أصحاب الدرجات المختلفة . وبذرت بذور العصيان والفتنة وتبادل الاتهامات واللعنات وتتبع المخازي وأذاق الناس بعضهم بأس بعض ،

ولقد شاع الصراع بين الطبقات وبين الشعوب وانتهى في فترات متعددة إلى الانفجارالدموي وتدمير الاجتماع والحضارة ، وليست الانقلابات الداخلية والإقليمية والعالمية إلا أمثلة لهذه والحروب الانفجارات .

ولقد حاولت الفلسفات التي وضعت الإنسان في المكان الأول ـ منزلة المالك المطلق لا منزلة المسؤول الممتحن ـ أن تفادي هذه المضاعفات والانفجارات المدمرة وأن تمد الإنسان ـ عن طريق التربية – بالمناعة اللازمة ضد أمراض الطفية والطغيان ، وعن طريق التنظيم والقانون فوضعت التشريعات التي تحد من ظهور الطبقات المستغلة ، وأباحت الثورات التي تجد من سحق المحكوم واستغلال العامل والفقير ، ولكنها لم تمنع حدوث المضاعفات التي أشرنا إليها . فمثلا بعد نجاح الثورات الاشتراكية في تقويض الحكومات وتقليل نفوذ الطبقة الرأسمالية الحاكمة قامت في المجتمعات الاشتراكية مشكلات أساسية تمثلت في قيام طبقة حاكمة جديدة استأثرت بالامتيازات والمكاسب وتحكمت في حياة الناس وحرياتهم كما حدث في الاتحاد السوفياتي وألمانيا الشرقية وبولندا وغيرها . وعلى الرغم من أن الثورة الثقافية التي شنها ـ ماوتسي تونج - استهدفت إيجاد تقاليد سياسية واجتماعية وثقافية تمنع قيام مثل هذه الطبقة فإن ما حدث بعد الطبقة المذكورة.

ه ـ الابتلاء والفتنة : الفتنة يرتبط مفهوم الابتلاء بمفهوم آخر هو ولقد عرف اللغويون الفتنة تعـريفـات متعـددة خلاصتها أن الفتنة هي الامتحان والاختبار المذهب للعقل أو المال أو المفضل عن الحق . ولقد تكرر ذكر الفتن في القرآن الكريم في أربعة وخمسين موضعاً يستخلص منها جميعها الفتنة هي فشل في مواقف الابتلاء يؤدي إلى الوقوع في المعصية أو الخطأ أو الانحراف ، وأن آثارها لا تتوقف عند الذين يقعون بها وإنما تشيع وتنتشر وتؤثر في حياة الذين لم يواقعوها . وإلى هذا يشير قوله تعالى : - « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب » ([[125]](#footnote-125)).

والأساس الذي يقوم عليه مفهـوم ـ الفتنة ـ أن الإنسان ـ بدون تعليم وتربية ـ لا يفقه علاقة الابتلاء ،ولا حكمة هذا الابتلاء ولا قوانینه وما يرتبط به من الاختلاف والدرجية ، لذلك يضطرب سلوكه ولا يحسن التعامل مع مظاهر الابتلاء في مواقفه المختلفة . فهو يعتبر الابتلاء الخبرة إكراما وتقدما . ويعتبر الابتلاء بـ الشره إهانة رغما : ـ « فأما الإنسان إن ن إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول رب أكرمن . وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول رب أهانن ) ([[126]](#footnote-126)) .. وهو في مواقف الابتلاء بالخير تستخفه الخيلاء والبطر رينتابه الغرور ويطلق الدعاوى الكافرة ويغفل عن نعم الله وما توجبه من الحمد والشكر والطاعة وبسند الخبر إلى علمه وكسبه . وحين يمر في مواقف الابتلاء بالشر يتصـاغـر ريضمحل ويصاب بالقنوط . وفي كلا الحالتين ينتهي إلى الوقوع في الفتنة . ويصف القرآن هذه التقلبات في النفس والسلوك من قبل الإنسان المفتون في سور مختلفة من ذلك قوله تعالى : وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون﴾([[127]](#footnote-127)) .

هذا الابتلاء ولا قوانينه وما يرتبط به من الاختلاف ولاحكمةوالدرجية . لذلك يضطرب سلوكه ولا يحسن التعامل مع مظاهر الابتلاء في مواقفه المختلفة . فهو يعتبر الابتلاء الخبرة إكراما وتقدما . ويعتبر الابتلاء بـ الشره إهانة رغما : ـ « فأما الإنسان إن ن إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول رب أكرمن . وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول رب اهانن ) ([[128]](#footnote-128))..

وهو في مواقف الابتلاء بالخير تستخفه الخيلاء والبطر وينتابه الغرور ويطلق الدعاوى الكافرة ويغفل عن نعم الله وما توجبه من الحمد والشكر والطاعة وبسند الخبر إلى علمه وكسبه . وحين يمر في مواقف الابتلاء بالشر يتصـاغـر ريضمحل ويصاب بالقنوط . وفي كلا الحالتين ينتهي إلى الوقوع في الفتنة . ويصف القرآن هذه التقلبات في النفس والسلوك من قبل الإنسان المفتون في سور مختلفة من ذلك قوله تعالى : . وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون﴾ ([[129]](#footnote-129)).

ولا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإذا فيوس فنوط ، ولی الدقناه رحمة منا من بعد صر هسته هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسني . فلننيش الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليط . وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونا بجانبه الشر فذو دعاء عريض) ([[130]](#footnote-130)) .

وإذلالاً للشر وهذا الاضطراب والجهل في فهم علاقة الابتلاء يحدث انفجارات مدمرة في ميادين العقيدة والأخلاق والاجتماع مثل الانفجارات التي تحدث في الأجهزة والآلات حين تستعمل بما يخالف القوانين التي صممت طبقاً لها .

وهذه الانفجارات في ميدان علاقة الابتلاء نتائج خطيرة :

منها: أن الإنسان حين يتصور « الابتلاء بالخبر » إكراماً من الله ودلالة رضاء فإنه يسترخي عن أداء واجبه في تناول الخير لدفع الشر ، ويرضى عن جميع أعماله وممارساته ، ويغفل عن مراقبة سلوكه وتقويم أخطائه ؛ فتقوده هذه الغفلة إلى اختيار مناصرة الشر والتعدي على حدود الله . وهذه حال كثير من الأفراد والأهم ممن يبتلون بالثروة والجاه والقوة والصحة والنفوذ والنصر وغير ذلك .

ومنها أن الإنسان حين يتصور والابتلاء بالشره إهانة الله ودلالة مقته وسخطه فإنه يقع فريسة الهوان والصغار ويضعف عن مجابهة الشر ، ويقع فريسة الخور والعجز والسلبية والقعود عن العمل والمجاهدة ، وكل هذا من مضاعفات الفتنة التي يكرهها الله ويعاقب عليها ، وهذه حال كثير من الطبقات العامة ، وأهل التبعية والتقليد ، والغفر والضعف والهزيمة وغير ذلك من مظاهر الابتلاء بالشر .. وتتنوع مظاهر الفتنة حسب تنوع المواقف والأدوات . فهناك فتنة العقيدة والفكر ؛ وهذه تشمل مظاهر الفشل في بلورة العقيدة والفكر الصحيحين ، أو الفشل في حمل هذه لعقيدة والقيام بمسؤولياتها ومتطلبات الجهاد في سبيلها . وغالب ما ورد في القرآن الكريم من ذكر للفتن إنما يندرج تحت ـ فتنة العقيدة وتطبيقاتها ـ . ومنها فتن المال والأولاد والجاه الناجمة عن سوء العلاقات مع هذه كلها ومثلها فتن النساء والرجال ، وفتن الخلاف في الرأي والقتال ، وفتن الاجتماع والأخلاق . وبالإجمال فإن ميادين الفتن نتوازي مع ميادين الابتلاء بمظهريه من الخير والشر .

ولقد فصلت الأحاديث النبوية في استعراض مظاهر الفتنة وميادينها تفصيلاً دقيقاً أفرد له مصنفو الحديث .. من أمثال البخاري ومسلم ـ أبواباً خاصة عرفت بعنوان ـ باب الفتن وعلامات الساعة . وتشير الأحاديث الواردة ضمن هذه مضاعفات التفكك الأبواب إلى مواقف الفهم السلبي والتطبيق السلبي المظاهر الابتلاء التي ستمتحن من خلالها أجيال المسلمين بعد فترة الرسالة في ميادين العقيدة والاجتماع والسياسة والاقتصاد والحياة العسكرية والأخلاق العامة ، وما سوف تفرزه هذه السلبية في الفهم والتطبيق من انفجارات فتنية في ميادين الحياة المختلفة ، وما سينتج عنها من والانقسام والتحلل في داخل الأمة الإسلامية ، ومن هوان ، وضعف أمام التحديات الخارجية . كذلك توجه إلى السلوك الذي يجب اتباعه خلال انفجار هذه الفتن ـ لتجنب الاخطار التي سوف تنجم عن هذه الفتن في حياة الأفراد والجماعات . كذلك تشير أحاديث الفتن إلى أن ثورات هذه الفتن ليست أمراً حتمياً مفروضاً من الله تعالى وإنما هو يرتبط ارتباطاً وثيقاً بانهيار التربية السليمة وشيوع الجهل ، ومن توجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الميدان : « يقبض العلم ويظهر الجهل والفتن ويكثر الهرج ، قيل يا رسول الله وما الهرج ؟ فقال هكذا بيده فحرفها كأنه يريد وفي رواية أحمد جاء الجواب صراحة أن الهـرج هو القتل .

البخاري ، الصحيح ، ج ۱ ، باب العلم ، ص ۰۳۱ ۱۹۸

وبذلك تكون المشكلة التي تحدث الاضطراب في علاقة الإنسان بالحياة ـ أي علاقة الابتلاء - هي اختفاء التربية الصحيحة وشيوع التربية الخاطئة . لذلك كله فإن من وظائف التربية أن تهيء للإنسان علاقة الابتلاء والتعايش مع ظواهرها وقوانينها وأن تعمق ذلك كله في مشاعر المتعلمين وتجسده في سلوكهم في جميع المواقف والاتجاهات . ومن الإنصاف أن نقول أيضا إن المؤسسات التربوية الإسلامية المعاصرة لا تجسد هذه العلاقة في مناهجها ونظمها بسبب المفاهيم الجزئية التي ورثتها عن عصور الركود والتقليد المذهبي والتي جزأت ـ علاقة الابتلاء ـ إلى مفهومين جزئيين متباعدين : مفهوم رأى من علاقة الابتلاء مظاهر الشـر فحسب ولذلك قرر أن الحياة كلها « شر ، ولا بد من الصبر عليها والزهد فيها وتركها لأهلها حتى يأتي أمر الله ، وهؤلاء أولوا آيات القرآن والأحاديث المتعلقة بهذا الموضوع وبعقيدة القضاء والقدر تأويلا يدعم السلبيات المترتبة على هذا الفهم . فهم يدعون للاختيار الثاني وهو ـ الاستسلام للشر - . ومفهوم رأي من ـ علاقة الابتلاء ـ جانب الخبر فقط . ولذلك أول أصحاب هذا الفهم آيات الكتاب والأحاديث الترف وحياة المترفين . التي تتحدث عن الخير تأويلا يبرر الترف وحياة المترفين ولقد ترتب على كلا النوعين من الفهم ان شاع بين الجماهير المسلمة مظهران من الحياة : مظهر يمثله ـ الأكثرية المظلومة ـ وهؤلاء اختار غالبهم الاستسلام للشر وعدم تناول الخير لدفع الشر ، وأولوا المصطلحات المتعلقة بذلك تأويلا هذا الاستسلام ويبرره ، فقلبوا ـ مثلا ـ معنى الصبر فجعلوه صبراً على الفقر والمرض والجهل والظلم والهزيمة والتخلف بعد أن كان صبراً على مقارنة هذه الشرور : والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس). ([[131]](#footnote-131))،

وتعويضاً عن نقص العدد في المجابهة : ( كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين). ([[132]](#footnote-132))

وقلبوا معنى الزهد ، وجعلوه عجز الفقراء والقاعدين عن العمل بعد أن كان ـ زهد الأغنياء ـ واستهانتهم بالمال في سبيل الحق وتضحية بالنفس لنصرة الخير . وقلبوا معنى « التوكل » وجعلوه تبريراً للكسل والعجز بعد أن كان ثباتاً بعد استكمال الاستعداد . - وقلبوا معنى « التسليم للمشيئة الإلهية » أي قولنا « إن شاء الله ، فجعلوه تبريرا للتراضي وعدم الانجاز ، بعد أن كان تصميها على التغلب على جميع العراقيل ما عدا المشيئة الله و . والمظهر الثاني ويمثله ـ الأقلية المترفة – وهؤلاء ظنوا الخبر » إكراما لا ابتلاء . ولذلك وقعوا ضحية الترف وبرروا المتعة والاستهلاك والتباهي بأشكال الزينة ومظاهر النعمة كما هو منهج قارون والقارونيين ، وقلبوا معاني القرانية والأحاديث النبوية . فابتغوا فيها تاهم الله الدار الدنيا ونسوا مطالب الآخرة ، وأولوا معنى " ان يرى أثر نعمته على عبده بأنه تبرير والاستمتاع ، والثفنن في الاستهلاك ونسوا أن الله يحب ان يرى أثر نعمته في البذل والإنفاق كما أراه كل من أبو بكر وعمر وعثمان وأمثالهم . النصوص أن الله يجب

6 ـ علاقة الابتلاء وعلاقة المتعة والاستهلاك في الفلسفات المعاصرة : العلاقة التي تقيمها الفلسفات التربوية المعاصرة بين الإنسان والحياة هي ـ علاقة المتعة والاستهلاك ـ . ونتيجة لهذه العلاقة أصبحت الوظيفة الرئيسية للتربية المعاصرة هي إخراج الإنسان المنتج ـ المستهلك . ان التربية المعاصرة قد نجحت إلى حد كبير في رفع كفاءة الفرد الإنتاجية والاستهلاكية إلا أنها لم تنجح في توفير المتعة المنشودة له ، وخلقت له بدلها مشكلات وأخطار –

خامساً : علاقة الإنسان بالآخرة ـ علاقة مسؤولية وجزاء ـ

۱ ـ معنى المسؤولية وأقسامها :

العلاقة التي تربط الإنسان بالآخرة هي علاقة مسؤولية وجزاء . فإذا انتهت مدة الحياة المقررة لابتلاء الإنسان طويت قاعة الامتحان ـ أو الأرض ـ وحل محلها عالم الآخـرة .

والآخرة هي المستقر النهائي الأبدي بعد رحلة الإنسان خلال الأطوار المختلفة . أما المسؤولية فمعناها أن كل إنسان سوف يسأل عن تفاصيل ما ابتلي به في قاعة الحياة الدنيا . وفي ضوء نجاحه أو فشله في هذه المسؤولية سوف يتقرر جزاؤه ومستقره ؛ فإما النعيم الدائم في الجنة أو الشقاء الدائم في النار .

ـ « فوربك لنسألنهم أجمعين . عـا كانوا يعملون). ([[133]](#footnote-133)) .

–( ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذاباً أليما ) ([[134]](#footnote-134)) ،

(فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ ([[135]](#footnote-135)).

وتنقسم أشكال هذه المسؤولية إلى أقسام ومراتب تتوازي مع علاقة الابتلاء ـ والدرجية في الحياة الدنيا وهذه الأقسام هي :

القسم الأول ، مسؤولية الرسل عن أداء رسالاتهم : هذه المسؤولية يشير القرآن بقوله تعالى : ( يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم ؟ قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب). ([[136]](#footnote-136)).

ويقدم القرآن الكريم تفصيلات وأمثلة عن كيفية سؤال الرسل من ذلك:

سؤال عيسى ، عليه السلام : - ( وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ؟ قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب) ([[137]](#footnote-137)).

ويسأل محمد صلى الله عليه وسلم : ( وإنه لذكر لك ولقومك ولسوف تسألون) ([[138]](#footnote-138)) .. ويقول صلى الله عليه وسلم : ألا إن ربي داعي وإنه سائل ؟ هل بلغت عبادي ؟ وأنا قائل له : رب قد بلغتهم ، ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب .

والثاني ؛ مسؤولية الأمم عن موقفها من الرسالات التي بلغتها : ـ

« فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين). ([[139]](#footnote-139)) .

ـ « يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم) ([[140]](#footnote-140)).

كذلك تسأل الأمم عن تمسكها بحرياتها ورفضها الخضوع لغير الله :

( الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض) ([[141]](#footnote-141)) (مسند أحمد ، تصنيف الساعاتي 1 : 69) .

كذلك تسأل الأمم عن علاقاتها بقادتها والتحقق من ربط طاعتها لهم بطاعة الله ، لذلك أدان القرآن قوم فرعون لأنهم سمحوا لفـرعـون بالاستخفاف والتلاعب بمصائرهم :

ـ « فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسفين) ([[142]](#footnote-142)).

كذلك تسأل الأمم عن التخلف والجمود والرضي بالتقليد الأعمى للآباء والسابقين :

وقال : ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها ، حتى إذا اداركوا فيها جميعاً قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فأنهم عذاباً ضعفاً من النار . قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون﴾([[143]](#footnote-143)) .

كذلك تسأل الأمم عن الخيرات والنعم التي تمنعت بها كيف جمعتها وفيما أنفقتها :

« ثم لتسألن يومئذ عن النعيم » ([[144]](#footnote-144)).

: ويقول صلى الله عليه وسلم : ( إن أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة من النعيم ؟ . يقال له : ألم نصح جسمك ونروك من وعن علي في قوله تعالى : « ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ، قال : « من أكل من خبز البر وشراب من الفرات مبردا ، وكان له منزل يسكنه ، فذاك من النعيم الذي يسأل عنه ( ۲ ) .

كذلك يسأل المؤمنون عما تعهدوا به وبايعوا عليه :

( ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤولا﴾ ([[145]](#footnote-145))

ـ « وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا﴾ ([[146]](#footnote-146)).

والثالث: **سؤال القيادات الدينية والفكرية والسياسية والاقتصادية والتربوية وأمثالهم .**

وفي الحديث تفاصيل واسعة دقيقة لمثل هذا السؤال منها قوله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله عز وجل يوم القيامة للأنبياء والعلماء : أنتم كنتم رعاة الخلق فما صنعتم في رعاياكم ؟ ويقول للملوك والأغنياء : أنتم كنتم خزان كنوري مل واصلتم الفقراء وربيتم الأيتام وأخرجتم منها حقي الذي وفي حديث آخر : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يسترعي الله تبارك وتعالى عبداً رعيـة قلت أو كثرت إلا - لا سأله الله تعالى عنها يوم القيامة أقام فيهم أمر الله تبارك وتعالى أم أضاعه حتى يسأله عن أهل بيته خاصة ( مسند الإمام أحمد تصنيف الساعاتي : ۲۳: ۱۷)

وفي حديث آخر : « الا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته . فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته . والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم ، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه . ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » (صحیح مسلم ، ج ۲ ، باب فضيلة الأمير العادل ، ص ۲۱۳ مسند أحمد ، ج ۲۳ ، ص ۰۱۷ ۲۱۵ ).

والقسم الرابع ، مسؤولية الفرد عن نفسه . ويقدم الحديث النبوي تفاصيل دقيقة عن هذا القسم من المسؤولية . من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل ع عن شبابه فيها أبلاه ، وعن عمره فيها أفناه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيها أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل به (کنز العمال ، ج 14 ، ص ۳۷۹ . – ٢١٦).

والأحاديث التي تفصل المواقف التي يسأل خلالها الفرد عما ابتلي به في الحياة الدنيا كثيرة وشاملة وتتناول السؤال عن النعم والمكانة الاجتماعية وجميع أنواع السلوك وكيفية استعمال القدرات العقلية والجسدية والنفسية ، وألوان العلاقات الاجتماعية وغير ذلك .

ويذكر القرآن بصراحة أن الفرد سوف يسأل عن كيفية استعماله للقوى السمعية والبصرية والعقلية : ـ « إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا (. (**الإسراء : الآية 36 ) .**

والمسؤولية الاجتماعية في الحياة الدنيا هي نتيجة لازمة لعلاقة المسؤولية الأخروية ، وهي الحلقة التي تربط بين مواقف الإنسان في الدنيا وفي الآخرة وتجعلها طورين متكاملين من الابتلاء والجزاء .

ولهذه المسؤولية الاجتماعية دوائر وميادين بعضها أكبر من بعض . وهي تبدأ بالفرد وتنتهي بالإنسانية كما يلي :

1. مسؤولية الفرد عن نفسه وعن ما منحه الله من قدرات عقلية وسمعية ، وبصرية وجسدية ونفسية ليستعملها فيها خلقت له طبقا لأوامر الله ونواهيه .
2. مسؤولية الفرد عن أسرته وتشمل هذه مسؤولية الوالد عن الأبناء والبنات ،
3. ومسؤولية الولد عن الوالدين ،
4. ومسؤولية الزوجين كل عن الآخر .
5. مسؤولية الأقارب والأرحام بعضهم عن بعض .
6. مسؤولية الفرد عن الأمة ،
7. ومسؤولية الأمة عن الفرد فيها يزيد في تقدم الأمة ويحفظ لها مقدراتها وأمنها : وفيها يوفر للفرد الأمن والحماية والاستقرار .

ويتفرع عن هذه المسؤولية فروعاً عديدة مثل مسؤولية الحاكم عن الشعب ، والقوي عن الضعيف ، والغني عن الفقير .

ه ـ مسؤولية الجيل عن الأجيال اللاحقة في توفير الحياة العقائدية والاجتماعية والاقتصادية السليمة وكل ما يساعدها على عبور مستقبلها بنجاح .

6 ـ مسؤولية الأمة عن الأمم . وسوف تناقش - تفاصيل هذه في أهداف التربية الإسلامية .

۷ – مسؤولية الإنسان عن المخلوقات باعتبار أن المخلوقات كلها عيال الله وأحبها إلى الله أبرهم بعياله . وتتسع هذه المسؤولية حتى تشمل الإنسان والحيوان والنبات والجماد .

وتركز ـ فلسفة التربية الإسلامية ـ على ضرورة إحاطة المسلم بميادين وتفاصيل - علاقة المسؤولية في الآخرة - وما يتفرع عنها من مسؤولية إجتماعية في الدنيا ، وأهمية هذا التركيز على هذه العلاقة وتعميقها في نفس المتعلم هو إيجاد إحساس عميق بمسؤوليته إزاء أفعاله وممارساته التي تدخل في وبني الإنسان ومع الكون ومع الحياة ووزنها كلها بميزان العلاقات التي توجهها ، فإن تعامل مع الله وزن هذا التعامل بميزان العبودية . وإن تعامل مع بني الإنسان وزنه تعامله بميزان العدل والإحسان ، وإن تعامل مع الحياة وزن تعامله بميزان الابتلاء ، وإن تعامل مع الكون وزن تعامله بميزان التسخير . . . وهكذا .

ـ علاقة المسؤولية في فلسفة التربية الإسلامية ونظرية الحقوق في فلسفات التربية الحديثة :

تختلف ـ علاقة المسؤولية ـ في فلسفة التربية الإسلامية عما يقابلها في الفلسفات التربوية الحديثة وهي – علاقة الحقوق ، فهذه الفلسفات الحديثة كالواقعية والبراجماتية والمثالية جميعها تعمل على توجيه المتعلم للبحث عن حقوقه والمطالبة بها . وهي في تعريفها لهذه الحقوق إنما تصدر عن مجموعة الرغبات والميول المتفق عليها بين الأكثرية في مكان ما وفي فترة زمنية معينة .

اما التربية الإسلامية فهي لا توجه المتعلمين للبحث الحقوق وإنما توجههم للقيام بمسؤولياتهم نحو الآخرين . وإذا ورد لفظ « الحقوق » في المصادر الإسلامية فإنما يرد ليوجه الأذهان إلى المسؤولية ، كان يوجه المسلم أو المسلمة اللحق الذي عليه » لا « للحق الذي له » . وفي مواقف متعددة حينها سال البعض الرسول صلى الله عليه وسلم عن الحقوق التي هم أصر على أن تكون صيغة الجواب موجهة إلى الحقوق التي عليهم . من ذلك ما رواه مسلم في صحيحه : أن سلمة بن يزيد الجعفي سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا ؟ فأعرض عنه . ثم سأله فأعرض عنه . ثم سأله في الثانية أو الثالثة فجذبه الأشعث بن قيس وقال : اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم . وفي رواية ثانية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم » ( ۱ ) . وهذا الاختلاف بين الفلسفة التربوية الإسلامية والفلسفات الأخرى اختلاف أساسي وجوهري وله نتائج متعددة أهمها ما يلي:

: أولا : حين يوجه الأفراد والجماعات للقيام بمسؤولياتهم ( ۱ ) صحيح مسلم ، شرح النووي ، ج ۱۲ ، ص ٢٣٦ . ۲۱۹

وخلاصة هذا البحث:

أن دخول النساء الجنة أو النار مرهون بعلاقاتهن بأزواجهن لأن الاحاديث كنها تربط هذا الدخول بطاعة المرأة لزوجها ، وأن بعض مضامين هله الأحاديث تقرر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لأحد لأمرت المرأة أن تـ « لو كنت أمراً أحداً أن لزوجها » ، ولقد استنتجت الباحثتان من ذلك كله أن هذه الأحاديث وضعها الرجال وبواسطتها استطاعوا أن يغرسوا في نفوس النساء الرعب من العقاب الخالد في الدار الآخرة إذا ما خالفن أزواجهن يسجد ولست في مقام شق الصدور والكشف عن النوايا التي دفعت بالباحثين لسرد هذه التأويلات الخاطئة . وهي أنها تحريا الموضوعية إلا أن المنهج الذي استعملناه في البحث والدراسة هو منهج خاطيء تمام الخطا . ذلك أن الباحثتين لم تدركا أن التربية الإسلامية توجه الفرد نحو مسؤولياته إزاء الآخرين بدل المطالبة بحقوقه كا ذكرنا ، وإنما نظرنا في الموضوع حسب المقاييس الغربية في ــ المطالبة بالحقوق - ولو أن الباحثين أجريتا بحثاً آخر عن « الرجل في الحياة الآخرة » لخرجتا بنفس النتائج وهي أن دخول الرجل الجنة أو النار مرهون إلى حد كبير بحسن أخلاقه مع زوجته وأسرته ، وأن التوجيهات المتعلقة بعلاقة الرجل بالمرأة تنصب حث الرجل على القيام بمسؤولياته نحو زوجته مثلها كلها على ح في المرأة على القيام بمسؤولياتها نحو زوجها . نفس ولعل من الإنصاف والموضوعية أن نقول أن كثيراً من الكتاب المعاصرين في العالم العربي والإسلامي قد وقعوا في الخطأ المنهجي، فاستعملوا منهج المطالبة بالحقوق ؛ إما لإثارة (العمال) و(المرأة) و(الشعب) للمطالبة بحقوقهم وإما لإثبات أن في الإسلام( حقوق العمال) و (حقوق المرأة) و (حقوق الشعب) إلى غير ذلك مما تحويه مقولات الحقوق .

فكانت النتيجة أن هذه الكتابات لم تثمر في تصحيح أوضاع العمال والمرأة والشعب ، بل أسهمت في نقل جرثومة الصراع الطبقي والجنسي والسياسي إلى العالم العربي والإسلامي وما تبعها من مضاعفات الفتن والانقلابات العسكرية والهزات الاجتماعية .

والنتيجة الثانية ، هي أن فقدان علاقة المسؤولية أمام من فلسفات التربية الحديثة جعل الإنسان المعاصر يعيش بدون رقابة داخلية ولا ضوابط أخلاقية في مختلف ميادين الحياة . ويقدم لنا ـ لانسج لامونت ـ في بحثه الشامل عن الجامعات في الولايات المتحدة بعنوان : « صدمة الحرم الجامعي » صورا وتفاصيلا خطيرة عن مستوى الحياة الأخلاقية بين الهيئات التدريسية والطلبة، ومثله البحث الذي قام به كل من - بيلي رايت زيك ـ و ـ ليندا واين - بعنوان البروفسور الـداعـر : التحرشات الجنسية في الحرم الجامعي »

. وشيوع هذه الانهيارات الأخلاقية في المؤسسات التربوية جعل مربياً كبيراً مثل ـ أبراهام ماسلو ـ يكتب في بحثه « الثورة غير المرئية » أنه : سيتردد في إرسال أبنائه الجامعات التي توصف بأنها ممتازة كتردده في إرسالهم إلى - بيت دعارة ـ ثم يضيف: «إن الناشئة يتطلعون إلى حقائق مؤكدة كتلك التي تقدمها الأديان والتقاليد الراسخةوإن كلا من الإله وماركس وفرويد ودارون ماتوا في ضمائر هؤلاء الناشئة وليس لديهم مصدر للقيم » كما ذكرنا في الفصل الأول من هذا البحث . ومن الآثار السيئة لفقدان علاقة المسؤولية أمام الله في التربية المعاصرة أن الكثير من خريجي المؤسسات التربوية الحديثة من أصحاب المهن المختلفة يفتقرون إلى الضوابط الأخلاقية الحقيقية . ونحن نعرف هيمنة الروح المادية على أمثال هؤلاء في ميادين الطب والتكنولوجيا وغيرها وقيامهم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

1. **() (الذاريات : 56 )** [↑](#footnote-ref-1)
2. **() (النحل : 36 )** [↑](#footnote-ref-2)
3. **() (الأنبياء : ٢٥ )** [↑](#footnote-ref-3)
4. **() (المؤمنون : الآية ٢٣ )** [↑](#footnote-ref-4)
5. **() (العنكبوت : الآية 16 ) .** [↑](#footnote-ref-5)
6. **() (الأعراف : الآية 65 ) .** [↑](#footnote-ref-6)
7. **() (الأعراف : الآية 73 )** [↑](#footnote-ref-7)
8. **() (هود : الآية ٨٤ ) .** [↑](#footnote-ref-8)
9. **() (البقرة : الآية 83 )** [↑](#footnote-ref-9)
10. **() (المائدة : الآية ٧٢ ) .**  [↑](#footnote-ref-10)
11. **() (البقرة ٢١ )** [↑](#footnote-ref-11)
12. **() (العنكبوت : 56 ) .** [↑](#footnote-ref-12)
13. **() (البقرة :٢١)** [↑](#footnote-ref-13)
14. **() ( البقرة : الآية ١٧٧ ) .** [↑](#footnote-ref-14)
15. **() (آل عمران : 191 ) .** [↑](#footnote-ref-15)
16. **مسند أحمد ، ج 5 ، ص ۲۱۹ .** [↑](#footnote-ref-16)
17. **ابن تيمية ، اقتضاء السراط المستقيم ،**  [↑](#footnote-ref-17)
18. **() (هود الآية ٨٧ ) .** [↑](#footnote-ref-18)
19. **() ( المسد : 1- 6 )** [↑](#footnote-ref-19)
20. **شرح النووي ، باب النساء الغازيات ، کنز العمال ، ج ۲ ، ص ٥٥٦** [↑](#footnote-ref-20)
21. **تفسير ابن كثير ، ج 4 ، تفسير سورة الماعون .** [↑](#footnote-ref-21)
22. **مسند أحمد ( تصنيف الساعاتي ) ، ج ۱ ، رقم ٢٤ ، ص ۸۰**  [↑](#footnote-ref-22)
23. **() (فاطر : ٢٨ )** [↑](#footnote-ref-23)
24. **الرازي ، التفسير الكبير ، ج ۲ ، تفسير سورة البقرة ، ص 85 .** [↑](#footnote-ref-24)
25. **() ( الإسراء: 36 ) .**  [↑](#footnote-ref-25)
26. **() ( سورة الطلاق : الآية ١٢ ) .** [↑](#footnote-ref-26)
27. **() ( سورة آل عمـران**  [↑](#footnote-ref-27)
28. **() (فصلت : 53 ) .** [↑](#footnote-ref-28)
29. **() ( إبراهيم : ٣٢ – ٣٣ ) .** [↑](#footnote-ref-29)
30. **() (لقمان : ٢٠ ) .** [↑](#footnote-ref-30)
31. **() ( الجانبة : 13 ) .** [↑](#footnote-ref-31)
32. **() (الرعد : 2 ) .** [↑](#footnote-ref-32)
33. **() ( النحل : ١٢ ) .** [↑](#footnote-ref-33)
34. **() ( لقمان : ٢٩ )**  [↑](#footnote-ref-34)
35. **() ( فاطر :13 – 15 )** [↑](#footnote-ref-35)
36. **() (الزمر : الآية 5 ) .** [↑](#footnote-ref-36)
37. **() ( ص :36 ـ37)** [↑](#footnote-ref-37)
38. **() (الجاثية : ١٢ ) .** [↑](#footnote-ref-38)
39. **() ( النحل : ١٤ ) .** [↑](#footnote-ref-39)
40. **() ( الحج : 65 ) .** [↑](#footnote-ref-40)
41. **() (الزخرف : 9 - 14 ) .** [↑](#footnote-ref-41)
42. **() ( الحج : 36 ، 37 )**  [↑](#footnote-ref-42)
43. **() (الأنبياء: 79 )** [↑](#footnote-ref-43)
44. **() (ص : 18،19) .** [↑](#footnote-ref-44)
45. **() ( الحاقة : الآيات 6 – ۱۲ ) .** [↑](#footnote-ref-45)
46. **() (العنكبوت: 69).** [↑](#footnote-ref-46)
47. **() (النحل : 90 ) .** [↑](#footnote-ref-47)
48. **کنز العمال ، ج ۲ ، ص 451 ، رقم ٤٤٧٥ .** [↑](#footnote-ref-48)
49. **() ( سورة النساء : الآية 135 )** [↑](#footnote-ref-49)
50. **() ( سورة النساء : الآية 3 ) .** [↑](#footnote-ref-50)
51. **() (الأنعام : ١٥٢ )** [↑](#footnote-ref-51)
52. **() ( النساء : 135 ).** [↑](#footnote-ref-52)
53. **() (الحجرات : 9 ) .** [↑](#footnote-ref-53)
54. **() (النساء : 58 ) .** [↑](#footnote-ref-54)
55. **() (المائدة : 8 )** [↑](#footnote-ref-55)
56. **() (الشورى : 15 ) .** [↑](#footnote-ref-56)
57. **() (النحل : 76 )** [↑](#footnote-ref-57)
58. **() (الأعراف : ١٨١ )** [↑](#footnote-ref-58)
59. **() (سورة التين).** [↑](#footnote-ref-59)
60. **() (الأعراف : 199)** [↑](#footnote-ref-60)
61. **() (المؤمنون : 96 ) .** [↑](#footnote-ref-61)
62. **() (فصلت : 34 )** [↑](#footnote-ref-62)
63. **ابن كثير ، التفسير ، ج ۱ ، ص ۱۳ .** [↑](#footnote-ref-63)
64. **() (الإسراء : 7 ) .** [↑](#footnote-ref-64)
65. **() (النساء : 36 ) .** [↑](#footnote-ref-65)
66. **() (النساء : 36 ) .**  [↑](#footnote-ref-66)
67. **() (البقرة : 83 ) .** [↑](#footnote-ref-67)
68. **() (البقرة : ١٧٨ ) .** [↑](#footnote-ref-68)
69. **() (هود : 115 ) .** [↑](#footnote-ref-69)
70. **() (العنكبوت : 69 ) .** [↑](#footnote-ref-70)
71. **() (البقرة : ٢٢٩ ) .** [↑](#footnote-ref-71)
72. **() (فصلت : 34 ) .** [↑](#footnote-ref-72)
73. **() (العنكبوت : 46 ) .** [↑](#footnote-ref-73)
74. **() (الإسراء : ١٧ ) .** [↑](#footnote-ref-74)
75. **() (الكهف : 7 )** [↑](#footnote-ref-75)
76. **() (الملك : ٢ )** [↑](#footnote-ref-76)
77. **() (الكهف : 7 )** [↑](#footnote-ref-77)
78. **() (الكهف : - 46 ) .** [↑](#footnote-ref-78)
79. **() (آل عمران : ١٨٦ )** [↑](#footnote-ref-79)
80. **() (الأنبياء : 35 ) .** [↑](#footnote-ref-80)
81. **() (الأعراف : 168 ) .** [↑](#footnote-ref-81)
82. **()** ( سورة البقرة : الآية ١٥٥ ) . [↑](#footnote-ref-82)
83. **() (محمد : 4 ) .**  [↑](#footnote-ref-83)
84. **() ( سورة محمد : الآية 31 ) .** [↑](#footnote-ref-84)
85. **() ( سورة الأحزاب : الآية 11 ) . –** [↑](#footnote-ref-85)
86. **() (الأعراف : ١٤١ )**  [↑](#footnote-ref-86)
87. **() (النمل : 40 ) .** [↑](#footnote-ref-87)
88. **() (المائدة : 48 ) .** [↑](#footnote-ref-88)
89. **() (المؤمنون : ٢٩ - ۳٠ )** [↑](#footnote-ref-89)
90. **() ( سورة المائدة : الآية ٩٤ )** [↑](#footnote-ref-90)
91. **() (الأعراف : 163 )** [↑](#footnote-ref-91)
92. **() (آل عمران : ١٥٤ ) .** [↑](#footnote-ref-92)
93. **() ( البقرة : ١٢٤ ) .** [↑](#footnote-ref-93)
94. **() (محمد : 4 ) .** [↑](#footnote-ref-94)
95. **() (الآية 76 ) .** [↑](#footnote-ref-95)
96. **() (الشمس: الآيتان: ۹ - ۷ )** [↑](#footnote-ref-96)
97. **() (المائدة : 411 )** [↑](#footnote-ref-97)
98. **() (الأنعام : 165 ) .** [↑](#footnote-ref-98)
99. **() (النمل : 40).** [↑](#footnote-ref-99)
100. **() (الكهف : الآيات ٩٤ – ۹۸ ) .** [↑](#footnote-ref-100)
101. **() (القلم : الآيات ۲۷ -۳۲).** [↑](#footnote-ref-101)
102. **() (سورة الكهف : 34)** [↑](#footnote-ref-102)
103. **() (سورة الكهف : 36)** [↑](#footnote-ref-103)
104. **() (سورة الكهف : 37- 39)** [↑](#footnote-ref-104)
105. **() سورة الكهف : 42** [↑](#footnote-ref-105)
106. **() ( سورة الزخرف : الآية ٥٤ )** [↑](#footnote-ref-106)
107. **() (الشورى : 39 ) .**  [↑](#footnote-ref-107)
108. **() (الشورى : 41 – 42 ) .** [↑](#footnote-ref-108)
109. **() (البقرة : ٢٢ )** [↑](#footnote-ref-109)
110. **() (الأنعام : 165 )** [↑](#footnote-ref-110)
111. **() (البقرة : ٢٥٣) .**  [↑](#footnote-ref-111)
112. **() (آل عمران : الآية 163 ـ ١٦٤ ) .** [↑](#footnote-ref-112)
113. **() (الأنعام : ١٣٢ )** [↑](#footnote-ref-113)
114. **() الأنفال : 4)** [↑](#footnote-ref-114)
115. **() (الأحقاف : 19)** [↑](#footnote-ref-115)
116. **() (طه : 75 ) .** [↑](#footnote-ref-116)
117. **() (النساء : 94 ـ 95 ) .**  [↑](#footnote-ref-117)
118. **() (الأنعام : 83 )** [↑](#footnote-ref-118)
119. **() ( سورة يوسف : الآية 76 ) .** [↑](#footnote-ref-119)
120. **() (البقرة : ٢٢٨ )** [↑](#footnote-ref-120)
121. **() (الإسراء : ٢٠ – ٢١ ) .** [↑](#footnote-ref-121)
122. **() (الزخرف : ٣٢ )** [↑](#footnote-ref-122)
123. **() (هود : 119 ) .** [↑](#footnote-ref-123)
124. **() ( البقرة : ٢٩ ) .** [↑](#footnote-ref-124)
125. **() (الأنفال : ٢٥ ) .** [↑](#footnote-ref-125)
126. **() (الفجر : 15 – 16 )** [↑](#footnote-ref-126)
127. **() (الروم : 56 ) .**  [↑](#footnote-ref-127)
128. **() (الفجر : 15 – 16 )** [↑](#footnote-ref-128)
129. **() (الروم : 56 ) .** [↑](#footnote-ref-129)
130. **() (فصلت : الآية ٤٩ – ٥١).**  [↑](#footnote-ref-130)
131. **() (سورة البقرة : الآية 177 ).**  [↑](#footnote-ref-131)
132. **() (البقرة : ٢٤٩ ).** [↑](#footnote-ref-132)
133. **() ( سورة الحجر : الآية ٩٢ – ۹۳ ) .** [↑](#footnote-ref-133)
134. **() ( سورة الأحزاب : الآية 8 ) .**  [↑](#footnote-ref-134)
135. **() ( سورة الزلزال : الآيتان 7 – ۸ )** [↑](#footnote-ref-135)
136. **() ( سورة المائدة : الآية ١٠٩ ) .** [↑](#footnote-ref-136)
137. **() ( سورة المائدة : الآية 116 )**  [↑](#footnote-ref-137)
138. **() ( سورة الزخرف : الآية ٤٤ )** [↑](#footnote-ref-138)
139. **() ( سورة الأعراف : الآية 6 ) .**  [↑](#footnote-ref-139)
140. **() ( سورة الأنعام : الآية 130 ) .**  [↑](#footnote-ref-140)
141. **() . ( سورة النساء : الآية ٩٧ ) .** [↑](#footnote-ref-141)
142. **() ( سورة الزخرف : الآية ٥٤ ) .**  [↑](#footnote-ref-142)
143. **() ( سورة الأعراف : الآية 37 ) .**  [↑](#footnote-ref-143)
144. **() (سورة التكاثر : 8).** [↑](#footnote-ref-144)
145. **() ( سورة الأحزاب : الآية 15 )** [↑](#footnote-ref-145)
146. **() ( سورة الإسراء : الآية 34 ) .** [↑](#footnote-ref-146)